محمود الدموكى
رواية
إسراء
ليان للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: إسراء/ رواية

الكاتب: محمود الدموكي

الترقيم الدولي: 978-977-6471-97-1

رقم الإيداع: 2015/19944

تصميم الغلاف: عمرو أبو شنب

مراجعة لغوية: محمد الجداوي

مدير النشر: فتحي المزين/ 01282288056

مدير التوزيع: منال المزين/ 01270982908

دار ليان للنشر والتوزيع

شارع التحرير بالدقي، بجوار محطة مترو البحوث، الدور 19، شقة رقم2002.

Email: layanpub@gmail.coml-layanpub@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية
يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والأراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية
بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

TW. @Rabe3_elkotob

إســـــــــراء

رواية

محمود الدموكي

لبنان
للنشر
والتوزيع

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

تنويه:

العمل كله تمت كتابته باللغة العربية الفصحى بناءً على رغبة أبطال الرواية الحقيقيين، والأسماء والأماكن المذكورة فيه من خيال المؤلف.

TW. @Rabe3_elkotob

إهـداء

إلى الذين تغيروا وغيروا بالحب

TW. @Rabe3_elkotob

إهداء خاص

إلى إســـــراء...

TW. @Rabe3_elkotob

فى وطنى، المتشبثون بالحب كالمتشبثن بالحكم،كلاهما لا يعرفان النهايات السعيدة.

TW. @Rabe3_elkotob

(0)

النهاية

1 ديسمبر 2015

التاسعة مساءً

ككلِ مساء، أشعل المصباح وخلع عنه حذاءه، ثم سلك طريقه بينهم بإحتراز، على أطراف أصابعه بدأ السير؛ كي لا يشعروا بوجوده، فأفصحت عنه طقطقة أثقال دنياه التى يحملها على كتفيه، ورائحة حُزنه التى لا تُجيد الاختباء؛ ليبدأ الهمس " ها قد جاء".

نسمات الهواء الباردة التى تتردد على هذا المكان ليلاً، أخذت فى تحريك ملابسه قبل أن تتخللها وتداعب جسده برفق، وعلى النقيض تماما كان ذات الجسد من داخله يحترق إشتياقا، مُنذ عام اعتاد المجيء إلى هنا ليلًا والرحيل فى الصباح ،لا يعلمون من أين جاء أو إلى مكانٍ سيرحل.. لكنهم على يقينٍ أن موعدهم سيتجدد فى المساء.

يتسألون عندما يرونه كل مساء، من هو، ولماذا جاء؟! ومتى يا تُرى قد يقطع عادته بالمجيء إلى هنا؟، وعندما علموا أنه يأتيهم بدافع الحب تساءلوا: متى يفنى الحب من الأرض ليبرأ؟!

هو فقط يسترق السمع إلى تساؤلاتهم ،ويكتفى بالصمت...

TW. @Rabe3_elkotob

فأحيانا لا نكون مجبرين على تبرير ما نفعله؛ فقط لأننا أيضًا لا نعرف لماذا نفعله!، هى أقدارٌ قُدِّرت قبل أن نكون، وكُتبَ لها مهما كان أن تكون...

نحن لا نملك سوى أن نرضى بها ...

هؤلاء المتهامسون - فى بادئ الأمر- سئموا منه، وكرهوا طلته، ولكنهم - مع الوقت- تعاطفوا معه وتقبلوه ضيفًا دائمًا ، وأخذوا ينتظرونه كل ليلة؛ ليستمعوا إليه وهو يحدثها بشغفٍ، بينما تُجيبه هي بصمتٍ يُدرك الجميع تبريره عدا هو...لم يقتنع بعد به.

من يمكنه إقناعه بأن الموت مبررٌ حقيقيٌ للصمت؟!

الحب والوفاء والإخلاص والتضحية، وكل الأشياء التى فنيت من الأرض ما زال يحتفظ بها حتى الآن، مذ رحلت هى، بقى هو وحبه لها على العهد، ما زال يرى فيها كل نساء الأرض، ويرى نساء الأرض هي.....

ككلِ صباح، الشمسُ في القبور أفصحت عن نفسها ببطء؛ كي لا تُزعج أصحابها، وهو لم يزل يحتضن قبرها بكلتا يديه؛ مخافة أن يستيقظ فلا يجدها، عندما غاص فى النوم وجد نفسه تاركًا ما كان يحتضن شيئاً فشيئا،حتى تفلّت منه؛ لينتفض من مكانه مذعورا ناظرا فى ساعة يده ليجدها قد جاوزت السابعة بدقائق.

قبّل قبرها، واستعد للذهاب إلى جامعته وهو يعدها بأن يتجدد اللقاء فى المساء، لم يتناول شيئًا سوى شربة ماء، وست تمرات أكلهم على عجلٍ ثم انطلق ..

هى علّمته الصوم عن الحياة.

الطريق إلى جامعته يستغرق ساعة واحدة، لكن مع هذا الازدحام سيمتد لساعتين، وجدهما كافيتين لفعل الشيء الذى يداوم عليه كل صباح .. ارتكن إلى نافذة الحافلة وبدأ فى تذكر ما حدث له قبل عامين...

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

فى وقت ما، سيُرسل الله لك من يُخبرك أنه ما زال على هذه الأرض ما يستحق الحياة، بربك انتظره...

TW. @Rabe3_elkotob

(1)

بداية النهاية

26 سبتمبر 2013

قرية الدلجمون، مركز كفرالزيات، محافظة الغربية.

الثالثة فجرا

مرآةٌ لم ينتهك أحدٌ حتى الآن وحدتها، أو يتجرأ على النظر إليها، وزجاجة عطر تحتفظ بعذريتها؛ فلم يتنفسها بعدُ سوى صانعها، ومشاطة شعر حُرِمت منذ زمن بعيد من ممارسة عادتها المفضلة فى الزحف بين خصلات شعرٍ بشري، وحقيبة كتفٍ سوداء اللون صغيرة الحجم خفيفة الوزن، تمتلأ باللاشيء، بجانبها هاتف نقال لا أمل فى أن يفعل أى شيء ما دام متروكا هكذا بلا طاقة، لكم تمنى أن يصرخ على "شاحنهِ" ليمنح له الحياة.

كل هذه الأشياء على طاولة، تشغل جزءًا-ليس بالكبير- من الغرفة التى لم يتبق فيها سوى سرير خشبى ومكتب صغيرعلى متنه حاسوب يعمل منذ اثنين وعشرين ساعة بلا انقطاع، وعلى ذاك السرير يرقد الجسد الثمل دوما دون أن يتجرع الخمر يوما.

TW. @Rabe3_elkotob

أما باقي الغرفة فقد تملكته الفوضـى بكل معانيها، فلا موضـع لقدم إلا وقد سـبقته إليه أولا، ثياب مبعثرة على الأرض، وأوراق فارغة شـاركتها فى ذلك .. لا شيء فى هذه الغرفة سوى الفوضى التى يتفنن فى صناعتها (معاذ) ....

(معاذ عز الدين) شـاب عشـريني، طويل القامة، نحيف البدن، يملك أنفًا مدببًا على وجه طولي قمحاوي البشرة يتناسب كثيرًا مع عينيه السوداوين...

أتم دراسـته الثانوية فى يوليو الماضـي، بمعهد (دلجمون الاعدادي الثانوي) ، وكان من المفترض أن يلتحق بإحدى كليات القاع، لكن القدر فتح له ذراعيه، وخفّض له التنسـيق؛ ليلتحق بكلية من كليات القمة فى القسـم الأدبى .. كلية الإعلام جامعة الأزهر.

لم يكن معاذ يحلم أن يدخل كلية الإعلام بدرجاته الضـئيلة، التى لم تتجاوز التسـعة والسـبعين بالمائة، لكنه -قدرًا- التحق بها، ويسـتعد لاسـتقبال عامه الجامعي الأول غدًا.

الثالثة فجرا الآن...

بالكاد تمكن منه النوم، بعد صراع استمر ثلاث ساعات عقب منتصف الليل، لم يعتدْ منذ زمن على النوم قبل أذان الفجر، لم يعتد أيضًـا على صـلاته.. لم يعتد على فعل الصـواب يومًا .. يقولون أنه كثيرًا ما خيب ظنون والده الشـيخ "عزالدين ".

عز الدين... إمامُ مسـجدٍ وخطيب، لم يُرزق بمولود سـوى معاذ؛ فقد ماتت زوجته أثناء ولادتِه، فلم يرى بؤس الحياة إلا مع معاذ، أذاقه الأمرين طوال رحلته التعليمية، لم يحفظ من القرآن كما حفظ هو، لم يختر صـديقًا جيدًا، عذّبه كثيرا، ولكنه أحبه أكثر.

TW. @Rabe3_elkotob

يرى عز الدين أن الكلمة هى سلاح هذا العصر، لطالما استخدمها على منبره وهزم بها الكثيرين، لذلك لم يتردد فى ادخال معاذ كلية الإعلام عندما أتاح له التنسيق ذلك؛ ليكمل طريقه بكلمته أيضا.

أطلت الشمس على غرفته في السادسة صباحا، لو لم يكن يومه الجامعي الأول لما حاول الاستيقاظ مبكرًا على غير عادته، لكنه اليوم يبدأ حياة جديدة قد تقتضى معاذا جديدا...

قام من مرقده بعد عناء، لم يستغرق الأمر أكثر من عشر دقائق حتى تخلّص من تبعاتِ نومه وبدا مستعدا لبدء يومه، ارتدى ملابسه الجديدة واستعمل- لأول مرة- مرآته وعطره ومشاطته.

فى ساحة المنزل وجد والده فى انتظاره؛ ليودعه قبل السفر إلى جامعته بمنطقة (الدّرَاسة) بالقاهرة، بعد تقبيله أعطاه الكثير من النصائح والإرشادات، قال له مودعاً:

- لا تنسى يا معاذ ما أوصيتك به، كن باسماً، فالبسمة يا بني مفتاح القلوب المتحجرة، ابتسم لمن لا تعرفه قبل من تعرفه، كن بشوشًا؛تعطيك الدنيا وجهها،ولا تكن عبوثا؛كى لا تنل منها ظهرها...

ثم تابع بحزنٍ لم يستطع موارته:

- آهٍ يا معاذ... لمثل هذا اليوم يربى الآباء أبنائهم.

رد معاذ مداعبا:

- ليس هذا صحيحا يا أبي، فهذه الكلمات تقال فى يوم الزفاف، وليس فى اليوم الجامعي الأول، أظن أن الأمر قد اختلط عليك.
أوليس ذهابك إلى جامعة الأزهر عُرساً!!، أوليس التحاقك بكليةِ الإعلام عُرساً!!

TW. @Rabe3_elkotob

قاطعه معاذ بإشفاقٍ وودٍ تقافزا من عينيه :

- أليس الله بكافٍ عبده !

ثم أقترب منه وربّت على كتفيه وأردف يسّكنه :

- لا أريد أن أرى كل هذا القلق فى وجهك يا أبي، لستُ الطالب الوحيد على الأرض الذى يتغرب طلبا فى التعليم، ثم إنك قد قلت إن الالتحاق بجامعة الأزهر وبكلية الإعلام عُرسا، أيبكى الرجل يوم عُرس ولده؟!

ثم أخرج منديله من جيبه، وبدأ فى محو الدموع التى تساقطت من عيني والده، وتابع:

- الله معى، ودعاؤك لي يصلني، فما الغربة فى ذلك؟!، ألم تقل إن الإنسان يكون غريبا فقط إذا ابتعد عن الله، كما أننى أيضا أعدك أن أجتهد قدر إستطاعتي لأجعل من الغربة حافزا لتفوقي، وليس مبررا لفشلي وحائطًا أعلق عليه إخفاقاتي.

تملقه الشيخ عز الدين بتعجب، ثم قال وهو يمسح عنه دموعه:

- معاذ..أيها المهمل، أتظننى لا أعرفك؟!، أتخالنى أصدقك؟!

قهقه معاذ ثم احتضن والده بشدة، وهمّ بالرحيل وهو يتمتم:

- لا أعرف لماذا أبدو دوما ممثلا فاشلًا؟!

****

TW. @Rabe3_elkotob

قرية شرنوب - دمنهور- محافظة البحيرة

السابعة صباحا

يقولون فى " شـــرنوب" أن الفتاة لا تُجبَرعلى توديع أهلها إلا إذا كانت راحلة إلى بيت زوجها، قبل إثني عشـر عاما كانوا يقولون أن الفتاة بالأسـاس لا تخرج من بيتها إلا إذا كانت ذاهبة إلى بيت زوجها... هذه الفتاة خالفتهم فى المرتين...

أسـماها والداها (إسـراء) ، ومن يرى الطفلة إسـراء قبل إثنى عشـر عاما وهى ترتدى زيها المدرسـي الأزرق اللون وتدُسُّ طعامها وزجاجة المياه في حقيبتها قبل أن تُقبل والديها يُجزم أنها سـتخرج فى مثل هذا اليوم؛ لتفعل شـيئًا جديدا لم تفعله إحدى قريناتها في القرية من قبل.

(كلية طب البنات بجامعة الأزهر- فرع مدينة نصـر) ، هذا هو فحوى خطاب التنسيق الذى أتاهم قبل شهرٍ من الآن ليعلن عن الشيء الجديد الذى تنبأ به الجميع للطفلة إسراء.

لم تقتصـر فرحتهم على كونها أول فتاة من شـرنوب تلتحق بكلية الطب، بل إنها قـد نفـذَّت مـا وعـدت بـه قبـل عقـدٍ من الآن عنـدمـا سـألـت إحـدى المعلمـات تلاميذها عما يتمنونه فى القادم، لتقول الطفلة إسـراء وقتها: أتمنى أن أصـبح طبيبة كأبى.

فإن كانت إسـراء لها السـبق بأنها أصـبحت أول فتاة تلتحق بكلية الطب من القرية، فوالدها الدكتور حسـن مُنير كان له السـبق أيضـا عندما التحق بذات الكلية قبل ثلاثين عاما؛ ليصـبح أول طبيب فى القرية من أبنائها، بعد أن كان الأطباء يأتونها من مركز المحافظة.

والآن هى فى طريقها إلى تكرار ما أنجزه والدها، سـتصـل المحطة بعد خمس دقائق؛ لتركب القطار، ومن ثمَّ تذهب إلى القاهرة.

TW. @Rabe3_elkotob

أمام نافذةً وقفت تقطع تذكرة للقطار المتجه إلى القاهرة، والقادم بعد دقائق من مكان انطلاقه بالأسكندرية، جميع العربات كانت ممتلئة عدا العربة العاشرة، التى بالكاد استطاعت أن تنال منها المقعد الخامس والعشرين؛ لتذهب إلى المحطة فى انتظارها.

كانت ترتدى حقيبة كتف سمراء كبيرة تضع فيها أغراضها وملابسها، وبيدها حقيبة يد صغيرة تضع فيها أموالها وأغراضها الهامة، أثناء الانتظار بددت الوقت بأن أخرجت من حقيبة يدها شيئا ما وأخذت تكتب فيه.

****

دلجمون – كفر الزيات

خرج من بيته وهو ينظر إليه، وكأنها المرة الأولى والأخيرة أيضا، دقق فى تفاصيله جيدا والتقط له عدة صور فى ذاكرته قد يحتاج إليها وقتما يداهمه الحنين أو تقسو عليه الغربة، كان يتوقع ذلك ويؤمن جيدا بحدوثه، كيف لا، وهو لم يخرج من قريته منذ أن لفظته أمه.

كما وصف له والده، ذهب إلى محطة القطار بكفر الزيات فى انتظار أن تطء قدماه قطارا لأول مرة؛ ليذهب به إلى القاهرة.

فى محطة القطار رأى كل ما أخبره به والده جليا، كل أصناف البشر حاضرون، الأصوات تملأ جنبات المكان، وما أكثر الحقائب هنا، المحطة مزدحمة، ومع ذلك لا أحد يشعر بوجود الأخر، كل يهيم فى عالمه الخاص به.

ذهب إلى مكتب الحجوزات؛ ليقطع تذكرة فاخرة لقطار "اكسبريس المكيف" من الدرجة الثانية، الذى يعتبره الجميع من أفضل القطارات الموجوده فى الوجه البحرى بعد "التوربيني".

TW. @Rabe3_elkotob

تتميز عرباته باللون الأحمر والأزرق أوالفضى، ويطلق عليه "المضلع" ويوجد منه نوعان هما الأاسبانى والفرنسي، معاذ اختار الاسباني كما نصحه والده، كلفته هذه التذكرة ثمانية وعشرين جنيها وكانت تحمل الرقم السادس والعشرين، ليذهب إلى العربة العاشرة باحثا عن المقعد صاحب هذا الرقم .

"طبيعة القطار الاسبانى أنه يتكون من عدة عربات فى كل عربة صفان متقابلان، بينما يحتوى كل صف على عدد من المقاعد التى تكون متراصة على هيئة مقعدين متجاورين، وهذه المقاعد -على خلاف غيره من القطارات- نظيفة وواسعة، بالإضافة إلى أن كل قطار يحتوى على "بوفيه " يقدم الوجبات الخفيفة للركاب من حين لأخر.

تُحدَد أماكن الجلوس حسب أسبقية الحجز من المسافرين، فالقطار الذى ينطلق من الأسكندرية فى الخامسة فجرا يكون -غالبًا- قد تم حجز كافة مقاعده قبل ساعات من موعد انطلاقه، اللهم إلا فى بعض الأيام التى يكون الإقبال فيها على السفر ضعيفا، فتبقى بعض الاأماكن التى تُحجز قبل إنطلاق الرحلة بدقائق.

أما الركاب الذين يركبون القطار دون حجز مُسبق فهؤلاء يقفون طيلة الطريق، إن لم يرأف بهم القدر ويترك أحد الركاب مقعده بنزوله أو تغيبه، هذا عقاب لهم بالإضافة أيضاً إلى دفعهم عشرة جنيهات ثمن التذكرة الأصلي".

هذا ما قاله الشيخ عز الدين لمعاذ قبل مغادرته للمنزل وها هو يحدث، لم يكن ذلك من قبيل المصادفة أو محض إطلاع، بل كان نتاجا لأربع سنوات قضاها عزالدين فى محطات القطار ذهاباً وإيابًا أثناء دراسته الجامعية.

عزالدين قبل أن يكون شيخا كان فى موضع ولده معاذ منذ عشرين عاما، عندما التحق بكلية الدعوة الإسلامية، وقتها كانت الأرض عنده هى قرية دلجمون، لم يكن مدركًا أن هناك عالمًا آخر ينتظره عندما يغادر هذه القرية.

TW. @Rabe3_elkotob

فى طفولته - وككل أبناء القُرى- أعتى أحلامه كانت غرفة لا تتجاوز مساحتها الأربعة أمتار؛ يُزاول فيها الحياة بما تعنيه له من نوم وطعام وشراب وزواج، ومثلها مترين - أو أقل- يُدفن فيها بعد موته، هذا هو رجاء الفقراء فى الأرض.

القاهرة التى تقبع فيها جامعته لم يكن يسمع عنها سوى فى التلفاز، قال له أحدهم فى طفولته أنها مدينة الأعيان والأغنياء، حُرِّم على الفقراء دُخُولها والعيش فيها.

عندما كبر ودخلها متعلمًا عدَّ نفسه فاتحًا، قال فى قرارة نفسه: دخول القاهرة انتصارٌ للفقراء وإيذان بتدفق الفاتحين - طلاب العلم- من أبناء قريته، ولهذا يفتخر كثيرا بمعاذ.

****

محطة مصر للقطارات- دمنهور

الثامنة صباحا

وصل القطار أخيرًا إلى محطة دمنهور؛ ليقتل لحظات الانتظار المملة التى ساورت إسراء، اتجهت إلى العربة العاشرة باحثة عن المقعد الخامس والعشرين قبل أن يزفر القطار زفيره الأخير معلنا البدء فى التحرك.

مجاورةُ مقعدها للنافذة أعطتها سعادة إضافية ولحظات صفاء أكثر كانت تتوقعها، وضعت حقيبة اليد بجانبها بينما شرعت بخلع حقيبة الكتف لـ...

بعد أقل من دقيقتين تحرك القطار، تحرك والمقعد الخامس والعشرين خاوٍ كما هو!!

****

TW. @Rabe3_elkotob

محطة مصر للقطارات- كفر الزيات

الثامنة والنصف صباحا

" السـاده الركاب، نحيطكم علما بأن القطار الاسـباني القادم من محطة مصـر بالأسكندرية، والمتجه إلى القاهرة قد شارف على الوصول "

دوى هـذا النـداء - غير مرة - فى محطـة قطـار كفر الزيـات بـالغربيـة؛ لينتفض الجميع إســتعدادًا، بما فيهم معاذ الذى اســتغل رشــاقته وقوته الجثمانية فى التدافع فور وصــول القطار إلى المحطة؛ ليس لشــيءٍ إلا أنه رأى الجميع يفعل ذلك.

عن كثبٍ سمِع أحدهم يصرخ متأففًا بعد أن سقط من التزاحم:

- **أيتُها البعير، إنه قطارٌ إســبانيٌ فاخر، الجلوس فيه لمن بادر بالحجز، وليســـت حـافلـة نقـل عـام الجلوسُ فيهـا للأقوى، جميعكم جُلوس فعلام التدافع؟!**

تجاهلوه ومضـوا دونما التفاتٍ أو إصـغاء، فدمدم وهو يضـرب كفيه بعضـهما ببعض:

- **سحقاً لكم، ربنا أخرجنا من هذه البلدة الجاهل أهلها.**

تحرُشٌ لفظي بفتاةٍ لم تبلغ العشــرين، مشــهدٌ آخر اســتطاع معاذ الإلتقاطه وسط الزحام...

بعد معاناةٍ دخل معاذ القطار واســتقر فى مقعده، فى أقل من دقيقة امتلأت العربة بمقاعدها، واســتقر الجميع عدا معاذ، الذى ظل المقعد المجاور له خاويًا.

TW. @Rabe3_elkotob

يُقلِّب عينيه وسـط العربة بارتباك؛ يبحث عن مجاوره الذى لم يأتِ بعد، لا يعلم لماذا يفعل ذلك! ولكن ثمة شـعور بالنقص راوده عندما ظل المقعد المجاور فارغا.

تسـرب القلق إليه مع زفير القطار اسـتعدادًا للتحرك، والمقعد كما هو خاوٍ، استوقف عامل العربة أثناء مروره، سأله بحُمق:

- أيمكن أن يتحرك القطار دون صاحب هذا المقعد؟!

تملقه بغضب إستطاع موارته قائلا:

- تقصد صاحبة المقعد، ألا ترى حقيبتها ؟!، أما عن سؤالك فيمكننى إخبارك أن هذا القطار يمكنه التحرك دون أى راكب، هو أيضا يستطيع التحرك دون سائقه، هذه مواعيد مُجدولة مُلزمة، لا يمكن لأحد مخالفتها تحت أى ظرف...

ما لبث العامل من الانتهاء من حديثه حتى تحرك القطار؛ ليعلن أن معاذ سيقضى رحلته بمفرده، منفردا بالمقعدين، تحاصره التخيلات السيئة والشكوك، وماذا يا ترى قد حدث لها..

على مسمعٍ منه رجلٌ يعاتب مجاوره ناهرًا إياه.

لم يلتفت معاذ لحديثهما والتفت إلى الحقيبة التى تجاوره، كانت حقيبة كتف سمراء صغيرة، نالت من شغفه الحقيبة وتمنى لو يستكشف ما فيها، لكن انتصارًا لأخلاقه وأمانته قرر تسليمها للعامل كى تنتظر صاحبتها، فحملها وقام من مجلسه متجها ناحية العامل عازمًا على تسليمها لتسقط من الحقيبة صورة أثناء سيره...

التقطها، فإذا هى لفتاة عشرينية ذات وجه منمق قمحاوي يميل إلى البياض، تتخلله قسمات رائعة ما بين عينين سوداوين واسعتين وأنف مدبب وفم صغير

TW. @Rabe3_elkotob

وخصلة شعر واحدة برزت من تحت حجابها الأزرق اللون، وعلى ظهر الصورة وجد كلمة " إسراء"...

تلفت من حوله مطمئنًا أن لم يلحظ أحد ما حدث، عاد مرةً أخرى إلى مقعده، وقرر تأجيل تسليم الحقيبة للعامل قليلًا، شعر أنها تحوي الكثير من الأسرار التى ربما لا يمتلك حق الاطلاع عليها، لكنه لا يدري لماذا راودته رغبة ملحة باقتحام العالم الخاص بصاحبة الصورة.

عندما فتحها وجد بها كل ما يمكن أن تحمله فتاة من أغراض، مرآة صغيرة؛ فلا يمكن لفتاة أن تسير بلا مرآة؛ يظنون أن هيئتهم تتغير كل ثلاث ثوان، وعطر نسائى ومكحلة، وأحمر شفاه ومنديل ورقي مُستعمل، ومحفظة لم تشغل معاذ إلى الحد الذى قد يجعله يفتحها ليعلم مقدار ما تحويه من نقود، لكنه تحسس وجود شيء بلستيكي مرتخي، أجزم أنه بطاقة هويتها.

كل ما سبق من الطبيعي تواجده فى حقيبة أي فتاة، لكن الغير طبيعي وجود تلك المفكرة التي لم يجد معاذ تبريرًا لوجودها، استقر على فتحها ليكتشف ذلك بنفسه.

استرخى قليلًا على مقعده، وبدأ فى تقليب صفحات المفكرة، فى الصفحة الأولى على اليسار قليلا وقعت عينه على كلمة" سرى جدا ".

شعر برعدة تسري فى أوصاله، كتلك التى يشعر بها المقدمون على اقتراف الأخطاء، أغلقها وأعادها إلى موضعها مرة أخرى وأغمض عينيه، وقرر التغلب على شغفه بالنوم.

لاحقته صورة الفتاة ثانية فى نومه، الجميع لا يستطع الصمود أمام الأسرار، لم يلقَ تلك الرعشة ثانية، ولم يحاول المقاومة ثانية، ففتح عينيه وأمسك بالمفكرة وفتحها متجاهلًا ما كُتب فى الورقة الأولى؛ ليجد فى الصفحة الثانية

TW. @Rabe3_elkotob

ما أكد له ظنه، فى المنتصف تماما وجد بخطٍ أكبر من سابقه كلمة " مذكراتي".

إذًا هى مذكرات لفتاة لا يعرف عنها أي شيء سوى اسمها وصورتها، وأنها أرادت أن يكون ما كتبته سري جدا، عليه أن يتوقف الآن وأن ينصاع لرغبة الفتاة، لكن الطباع البشرية تؤكد أنه لا أحد - مهما كان- يستطيع الصمود أمام الأسرار،ومعاذ من البشر...

التفت على جانبيه وأمامه وخلفه ثم استرخى على مقعده وهو يبتسم قائلا فى نفسه:

" لا بد أنك ستسامحينى يا عزيزتى... "

بدأ فى تقليب صفحات مذكرات الفتاة، التى تسارعت نبضات قلبه منذ أن وقعت عينه على صورتها، فتح الصفحة الثالثة ليقرأ من اليمين ما كان من الطبيعى أن تبدأ به صاحبة المذكرات، بخط جميل مرتعش قليلا كتبت إسراء:

****

إسراء منير، هذا هو اسمي، دائمًا ما اقترن بمنير، لكن فى الحقيقة اسمى كاملا هو إسراء حسن منير، فى اللغة الإنجليزية وجدت اسمى " ESRAA " لكنى أفضل أن أكتبه دائما " israa "، المختلفون يصنعون المجد لأنفسهم؛ لذلك أنا أعشق الاختلاف، وأراه سُلمًا للمجد.

على ذكر المجد، يقولون أنى كاتبة روايات جيدة، وقد أصبح كاتبة شهيرة يوما ما، كتبت قصتين قصيرتين ورواية واحدة نُشرت إليكترونيًا وحملت اسم " الطريق إلى الحب".

TW. @Rabe3_elkotob

بمناسبة الحب، اليوم وكالعادة، رفضت أحد المتقدمين للزواج مني، إن لم تكن قد خانتنى ذاكرتى فهذا هو المرفوض التاسع عشر، جميعهم لا يتمتعون بتلك الصفات التى أريدها فى شِقي الآخر.

أرى " إليف" قد أسهبت عندما قالت فى إحدى رواياتها أن للعشق أربعين قاعدة؛ بربك يا إليف لو انصرف العاشقون إلى تنفيذ هذه القواعد فلن يتزوجوا قبل سن الأربعين.

للحب عندى أربعة قواعد، متى توفرت فى شخص ما، فقد استحق قلبي هم: الالتزام، الشجاعة، الثقافة، الشهرة.

أما الإلتزام فهو أمرٌ ضروري، وجدت أبى متمسكٌ به ومداومٌ عليه،فلا أقبل إلا بمثله ..

والشجاعة أمرٌ مفرغٌ منه؛فالمرأة لا يمكن لها - بأية حالٍ- أن تقع فى حبِ رجلٍ جبان ..

والثقافة ليست أقل أهمية منهما؛فلا يمكن لاسراء أن تقع بحب رجُلٍ ذو رأسٍ فارغ ..

والشهرة لى أنا، فأنا أعشق التميز وقد أصبح مشهورة يوما ما فلا يمكن أن يكون زوجى أقل شهرة منى ..

يالله .. أعرف أن هذه شروط تعجيزية ولكن من يحبك بصدق سيسعى للوصول إليك مهما كان

****

أغلق معاذ المذكرات بعدما قرأ التعريف بصاحبتها، صوت القطار أيضا كان سببًا فى الانتهاء، فقد أعلن نهاية الرحلة بالنسبة له - محطة رمسيس

TW. @Rabe3_elkotob

بالقاهرة، شـــعر أن رفقة تلك المذكرات قد انتهت، وأن عليه الآن أن يســـلمها لإدارة القطار لتنتظر صاحبتها.

"إســـراء" تلك الفتاة التى اقتحمت قلبه منذ اللحظة التى وقعت فيها عينه على صـورتها، يتسـائل كيف اسـتطاعت تلك الصـورة أن تقتحم قلبه الموصـد منذ زمن؟!، ومن أين أتت بتلك القوة التى جعلتها تفتح أبواب قلبه دون أية مقاومة تُذكر...

وأنّى لـه هو بتلك القوة التى قـد تجعلـه يطردهـا من قلبـه وينهى المغـامرة بهـذه الســهولة، وهو معاذ الذى لم يســتطع أحد إضــعافه عاطفيا من قبل، كيف اســتطاعت إســراء تلك فعل ذلك بصــورة من حبر وورق، وعلى إثرها القلب تعلق.

صـريخ القطار أعطاه الإنذار الأخير، وخيّره بين المُضي فى طريقه وبدء المغامرة، أو تسـليم المذكرات وتجنب المقامرة، تحدى نفســه وبيدٍ مرتعشــةٍ فتح حقيبته ووضــع المذكرات فيها ثم اتجه خارج المحطة معلنا تقبله للتحدي الذى ســاقه إليه القدر...

قلبه لم يدع له مجالا للشـك فيما أقدم عليه، فزاد من نبضـاته طوال الطريق، ويكأن الحب قد أجهز عليه فى أقل من دقيقه؛ ليقع أسـيرًا لصـاحبة الصـورة؛ ولتبدأ بعدها رحلته الأهم.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

وقد تأخذ منك الحياة كل شيء وتمنحك صديقاً جيد !

TW. @Rabe3_elkotob

(2)

وجدته سريعا

جامعة الأزهر- فرع الدراسة

كلية الإعلام

كغيره من الطلاب، أبهره الحرم الجامعى المبجل، انتابته نشـــوة رائعة وشـــعر برعدةٍ تسـرى فى أوصـاله عندما وجد نفسـه واقفًا فى صـحن الأزهر، اسـترجعَ كتب التاريخ التى درســها فى مختلف مراحله التعليمية، وكيف كان الأزهر درعًا حصينًا لمصر والإسلام على مر العصور، وكيف وقف ليقود الشعب المصرى للذود عن الوطن أثناء الحملة الفرنســية، وكيف أصــبح منارة للعلم، وقبلة للمغتربين من طلابه، هو الآن يســتطيع إدراك ذلك بوضــوح، ففى كل خمســة طلاب يراهم، يتخللهم طالبان أجنبيان على الأقل.

لقد تجاوزت الساعة التاسعة منذ عشرة دقائق، هذا يعنى أن أولى محاضراته قد بدأت بالفعل، ولكنه لا يعلم المبنى القابع فيه كلية الإعلام حتى الآن، على مقربة منه رجل ثلاثيني يحتســي كوبًا من الشــاي فى أحد أركان الجامعة، يبدو من جلســته وهيئته وملابســه أنه ليس غريبا عنها، إن لم يكن موظفًا بشــئون

TW. @Rabe3_elkotob

الطلبة فى إحدى كلياتها، اقترب منه ورسم ابتسامته كما أوصاه والده وسأله بعد أن ألقى عليه السلام:

- أرجو المعذرة، مدرج الفرقة الأولى بكلية الإعلام، أين أجده؟

تملقه الرجل تملقا غريبا لا يستدعيه هذا السؤال، ثم قال مستنكرا:

- كلية الإعلام!!، لا توجد كلية للإعلام فى جامعة الأزهر، أو على الأقل هى لا تتواجد هنا فى فرع (الدراسة) ، ربما تجدها فى فرع الجامعة بمدينة نصر، لكنى على يقين أنك لن تجدها هناك أيضا، الأزهر يا عزيزى لا علاقة له بالإعلام.

فتح " معاذ " فاه مندهشا، ثم صاح مستفهمًا بغضب:

- لا توجد هنا!!، إذًا أين أجدها؟، فى جامعة القاهرة؟!

همَّ الموظف بنهره لسخريته منه ورفع صوته عليه، إلا أنه سمع صوتا يقاطعه قائلا:

- على رسلك يا "محفوظ "...

ثم التفت لمعاذ يحدثه بابتسامة عريضة شملت كلتا شفتيه:

- أستطيع مساعدتك يابنى، إن أردت؟

رد معاذ بوقار، استدعته هيئة الرجل ومكانته العلمية التى بدت من بذلته التى استنتج منها أنه دكتور جامعي:

- أشكرك سيدى، فى الواقع كنت أسأل عن كلية الإعلام.

أشار الرجل بيديه إلى كلية اللغه العربية قائلا:

- فى هذا المبنى، الدور الثالث.

TW. @Rabe3_elkotob

شـعر معاذ أن هذا الدكتور يسـخر منه، وقبل أن يفتح فمه اسـتطرد الدكتور قائلا بحزم:

- يبدوا أن لديك نقصٌ حاد فى المعلومات التى تعرفها عن كلية الإعلام، هذه الكلية هى أحدث كليات جامعة الأزهر الشـريف، تم إنشـاؤها منـذ عـامين فقط بقرار من رئيس مجلس الوزراء وقتهـا الـدكتور "عصـام شـرف"؛ لـذلـك لا علم للكثيرين بهـا، ورغم ذلـك لم يتم تأسـيس مبنًا خاصًا بها حتى الآن؛ لقلة الموارد، لذلك أصبحتْ ضيفا قديما حديثا على كلية اللغة العربية.

كرر معاذ مستفهما:

- قديما حديثا!!

نعم فكلية الإعلام كانت حتى زمن قريب قسـما أصـيلا من أقسـام كلية اللغة العربية، وهو قسـم "الصـحافة والنشـر"، وبعد انفصـالها ظلت فى مكانها كما كانت، ولكن تحت مسمىً جديد وهو "كلية الإعلام بالقاهرة "

بخيبة أملٍ لم تتوارى، شـكره معاذ مبتسـما، معتذرا لمحفوظ على سـوء الفهم، وخشـونته فى الحديث، ثم اتجه ناحية كلية اللغة العربية حسـب الوصـف، يجر خيبته وحطام إحباطه، ويكأن هذا الدكتور الجامعى قد أمسك بمطرقةٍ وأخذ فى تحطيم بيت الأحلام الذى بناه فى مخيلته.

فى الطريق إلى حُلمك سـتصـطدم بمن يثبطونك بقصـدٍ أو بدون قصـد، فى كلتا الحـالتين عليك أن تتجـاهلهم لتصـل إلى نهـاية الطريق، فلو اتبعتهم لوجـدت نفسك - طوال السير- تُعاود للخلف ولا تخطو خطوة واحدة للأمام.

TW. @Rabe3_elkotob

معاذ لم يكن يعلم بذلك، فوجد نفسه يخطو خطوة للخلف، فقد شهيته للدراسة الجامعية وتبددت تلك اللهفة التى كان ينتظر بها بداية العام ودراسة فنون الإعلام.

بعد عناءٍ ولهثٍ على درجات سُلَم الجامعة، وصل إلى المدرج أخيرا، وكما توقع فقد كان الباب موصدًا، خُيِّل إليه أن التأخر نصف ساعة على المحاضرة جريمة لا تغتفر ولا تستدعي حتى محاولة طرق الباب، أحدهم تكفل بذلك وأخذ فى الطرق حتى فُتح الباب، فتبعه معاذ.

دخل يفرش المدرج بعينيه ويرصد وجوه الطلاب، هذا من القاهرة كما يبدو من ملابسه الأنيقة ولغته الدارجة الرقيقة، وصاحب الصوت المرتفع واللهجة الغليظة تلك من إحدى محافظات الصعيد، وهذا الهادئ يبدو من الأسكندرية، فالبحر يُعلِم الهدوء كما قال له والده، وهذا الأسود من المغتربين لا جدال، أما مقعد المحاضر فهو خالٍ كما هو لتغيب صاحبه أو تأخره.

هواتفهم النقالة التى يحملونها عبرت كثيرا عن حالتهم المادية، كلها من ما كبُر حجمه وزاد سعره، يتناقلونها بين أيديهم ويباهي كل واحدٍ منهم بما يحمل.

انتهى من الفحص ثم استقر فى المقعد الأخير وحيدا شارد الذهن يفكر فى الشيء الذى بدا وكأنه شارف على نسيانه.

أخرج المذكرات من حقيبته مرة أخرى، وبدأ فى تقليبها ليبدأ من حيث انتهى، فى الصفحة الرابعة أعلى اليسار وجد ذلك التاريخ (1 يناير 2009)، ثم أكمل بعينه أسفل التاريخ ليقرأ...

****

TW. @Rabe3_elkotob

اليوم هو عيد ميلادى الخامس عشـــر، يقول والدى أنى قد ولدت فى التاســع والعشــرين من ديســمبر عام ألف وتســعمائة وأربعة وتســعين، ولكنه فضــل التريث فى تسـجيلى يومين حتى لا أتنســبُ إلى عام ليس لى فيه إلا ثمان وأربعين ساعة فقط.

أبى - كما أعتدت عليه- عـاقـل جـدا، يفكر كثيرا قبل إتخـاذ القرارات ويعرف جيدا ما عليه من حقوق وما له من واجبات، ليس هذا بالغريب على طبيب جراح، مدرك تماما أن الحياة ما هى إلا ســنتيمترات قليلة، وما علينا إلا تحري الدقة عند كل سنتيمتر نخطوه منها.

يومًا دخل علىَّ أبى غرفتي، وكنت أنظر من الشرفة وقتها، أراد أن يعطينى درسًا فلسفيًا كعادته، قال لى وقد بدا مرتاعًا بعض الشيء:

- إسراء .. إياكى والسقوط.

قلت له فى محاولة لتسكينه وتبديد روعه:

- لا داعى للخوف يا أبى، فأنا أُحكم الإمساك بالنافذة.

رد أبى متشككا:

- ولكنك بالتأكيد لا تثقين بهذه النافذة، من يدريكي فقد تأخذكي وتسقط بك رغم أنك كنتى ممسكة بها جيدا، تذكري أنه دائما تكون أسباب الإخفاقات أشياء لم نكن نتوقع حدوثها.

ثم أجلسنى وأزاح خصلات شعرى المتناثرة على عينى وأردف:

- هناك قصة هندية شهيرة تقول أنه كان هناك عصفورسعيد يطير ويغني ولا تشغله الحياة، وفجأةً سقطت الأمطار بكثافة وأجبرته على الهبوط، أثناء ذلك مر أحد الحيوانات وبال عليه ثم تركه دفينا

TW. @Rabe3_elkotob

لبوله، ظل يجاهد ويحاول التخلص من هذه الفضلات حتى أستطاع أخيرا أن يُخرِج رأسه منها.

كان ذاك العصفور سعيدا جدا، لأنه استطاع النجاة بنفسه، حتى أنه أخد يغنى آنذاك:

- " لقد فعلتُها، لقد فعلتُها "

انزاحت البسمةُ من على وجه أبي وتابع بصوتٍ حَزِن:

- هناك قطٌ صغير كان يعبر الطريق وقتها، سمعه يغنى فرحا فاتجه إليه ليخرجه من الفضلات ويخلصه من ورطته - هكذا ظن العصفور- ثم قام بتنظيفه، وأكله ...

انتابنى الخوف دون تبرير وقلت بلعثمة وقتها:

- أتقصد أنه كان ...

قاطعنى أبى بحزم :

- نعم ، لقد كان ذاك الحيوان يحميه من القط ببوله، لكنه لم يفهم ذلك، دائما نسيء الظن فى الآخرين ونجزم أنهم لا يريدون الخير لنا، لكنهم - غالبًا- لا يكونون كذلك، البشر بسجيتهم متشككون طوال الوقت.

ثم استطرد وتركني غارقة في صمتي:

- إليك ثلاثة دروس من هذه القصه يا جميلتى:

الدرس الأول: ليس كل من يسقط عليك الفضلات هو بالضرورة عدوك.

الدرس الثانى: ليس كل من يساعدك هو بالضرورة صديقك.

TW. @Rabe3_elkotob

الدرس الثالث ....

قاطعته بلهفة وقلت واثقةً:

- عندما تفعل شـيئا إياك أن تغني " لقد فعلتُها ، لقد فعلتُها "؛ لأنك ستندم.

أومأ برأسه مقرًا ما أقول وهو يرسم على وجهه إبتسامته المعتاده.

- أحبك يا أبى

كانت هذه الجملة هى ردة فعلى وقتها، لم أكتفِ بذلك فعانقته، ابتسم هو وعلم أنى قد أدركت ما يقول، فرد لى عناق بحدة أكثر، ثم انصرف.

****

ضم معاذ المذكرات إلى صدره بشدة وكأنه يحتضنها، هو لا يعلم إن كان هذا الاحتضان لصاحبة الصورة أم لأبيها، أم للمذكرات نفسها التى بدت وكأنها كنز أوجده القدر فى حياته ليغيرها له، دخل فى تيهٍ وأطلق العنان لخياله ليصور له أشياء يتمناها من داخله، كـــــ إسراء تبتسم له، ووالدها يعانقه وأشياء كثيرة من هذا القبيل.

لكن هذا الصوت القادم من بعيد قطع عليه كل ذلك قائلا:

- السلام عليكم .. مرحبا يا صديقي.

اقترب الصوت شيئا فشيئا وبدت ملامح صاحبه جلية لمعاذ، يبدو من بعيد حزينا ساكن الأعضاء، ملامحه جادة، ذو بشرة داكنة وأنف غليظ وعينين بنيتين واسعتين، ولحية خفيفة تغطي ذقنا طويلا، بتسريحة شعر مفروق على جانبي الرأس.

TW. @Rabe3_elkotob

مد يده لمعاذ ثم ابتسم قائلا:

- (يوســف الفيلســوف) ، هـذا هو اســمي، يمكنـك أن تنـاديني بالفيلسوف فقط.

فتح معاذه فاه مندهشا ثم قال:

- الفيلسوف!! اسم والدك هو الفيلسوف؟!

قهقه الفيلسوف ولوح بيده يمينًاويسارًا أكثر من مرة وهو يقول:

- لا لا،الفيلســوف هـذا هو لقبي، شــهرتي، الاســم الـذى ينـاديني بـه أصدقائي، وأنت؟
- معاذ .. معاذ عزالدين.
- اممم ، اســمٌ جميل جدا، يليقُ بك كإعلامي، من أى محافظة أنت يا معاذ؟

سأل يوسف بعد أن جلس بجانب معاذ دون استئذان، وكأنه قد جاء خصيصًا ليُفسد عليه خلوته، فأجابه الأخير على مضض:

- من دلجمون، مركز كفرالزيات بالغربية، وأنت؟

هتف الفيلسوف فجأة، وقال باعتزاز:

- يـالا براعتى، توقعـت ذلـك منـذ الطلـة الأولى، فطلاب الوجـه القبلي يتســمون بـالخجل والميل إلى الوحـدة دومـا، وأنت لم تختلف عنهم؛ لذلك أعرفهم من ســيماهم، أنا من الفيوم، ولكن قل لى، لماذا تبدو شاردا هكذا يا صديقى، أأنت على موعد مع حب جديد؟

TW. @Rabe3_elkotob

احمرَّ وجه معاذ خجلا، وشعر بأن هذا الفيلسوف يقرأ أفكاره، تمنى أن يخبره بأمر المذكرات ويستشيره عمّا يفعله بها، لكنه لم يكن متحفزا لذلك فهو ما زال غريبا عنه حتى الآن، لم يفعل ولوّح بيده قائلا:

- لا لا، أنا فقط لم أعتدْ على الغربة بعد، فأنا لم أزاولها من قبل، كما أن موضوع السكن يشغل بالى أيضا، خاصة بعد قرار إغلاق المدينة الجامعية، لعنة الله على القائمين على الأمور فى هذا البلد لم يشعروا بنا يوما.

قال يوسف وهو يربِتُ على كتف معاذ:

- اهدأ يا صديقي، فهناك حل بالتأكيد، أسكنُ فى شقة صغيرة بالقرب من الجامعة، غرفة بسرير كبير ومرحاض ومطبخ، يمكنك أن تشاركنيها حتى تعثر على سكنٍ مناسب، وإن أعجبك الوضع يمكنك أن تستقر معى، فأنا على خلافك لا طاقة لى بالوحدة، فمن عاش وحيدا مات وحيدًا، دعك من كل ذلك فالوحدةُ ذاتها موت.

ابتسم له معاذ، وقد انشرح قلبه من حديثه وبدأ فى الارتياح له، ثم أجاب بودٍ :

- أشكرك على عرضك هذا، وأرجو أن ترتاح أنت معي، فإذ كنت أنت يوسف الفيلسوف، فأنا معاذ المهمل، ولا أفلح مهمل وفيلسوف.

قهقه الفيلسوف ثم قال وهو ينظر من الشرفة متأملًا:

- يا صديقى الغربة تقتل الإهمال، أن تعتد على أن يفعل لك الآخرون كل شيء وأن لا تفعل أنت أي شيء، هذا سبب كافي لتمارس الإهمال، بيد أنه إذا ما انقضت هذه الأسباب بوجود الغربة، سيصبح الإهمال منبوذًا وقتها، فلا داعى له حينئذ.

صفق معاذ ثلاث ثم صاح فجأة وكأنه قد اكتشف شيئا:

TW. @Rabe3_elkotob

- والآن علمت لماذا ينادونك بالفيلسوف، تملك ردًا فلسفيا لكل شيء، وهذا وإن كان شيئًا جيدًا، فإنه قد يُعيبك عند بعضهم، فالبشر بطبيعتهم ينفرون من الفلاسفة والمتفلسفين.

صمت وهو ينظر إلى الشرفة، ثم استطرد على غير السياق قائلا:

- أتعلم يا معاذ أن هذه الغربة غريبة جدا.

بدت على معاذ علامات عدم الفهم فاستطرد الفيلسوف قائلا:

- أعنى أن الغربة لا تترك أحدا إلا وتُشعره بها، إليك الجانب التعليمى مثلا، عندما كنت طفلا كانت الغربة أن تذهب إلى فصلٍ آخر، وتطور الأمر إلى أن أصبحت الغربة هى أن تذهب إلى مدرسة غير مدرستك بعد المرحلة الابتدائية، وعندما تأتى هنا تشعر أنك غريب، لكن ما إن ترى أشخاصا من محافظتك تُكَونون لُحمة واحدة ويصبح البقية غرباء عنكم، وما إن نتعارف جميعا يصبح أصدقاؤنا غير المصريين هم المغتربون حتى نخرج خارج إطار الجامعة فنصبح جميعا لحمة واحدة، ويصبح طلاب الكليات الأخرى هم الغرباء، وتزداد الغربة أكثر عندما نلتقى طالبا بجامعة القاهرة، حيث نصبح نحن طلاب الأزهر جميعا لحمة واحد وما عدانا من جامعات غرباء، ولكن سرعان ما نكتشف أننا جميعا شركاء فى المنظومة التعليمية، أفهمت يا معاذ؟!

ابتسم معاذ وقد أدرك ما يعنيه الفيلسوف، ربَتَ على كتفه قائلا:

- نعم فهمت، تقصد أنه لا يوجد على هذه الأرض ما يُدعى بالغربة.

إبتسم له مشيرًا بقبضته رافعا إبهامه:

- نعم تماما.

قام يوسف من مجلسه ثم عدّل من ياقته وأشار لمعاذ قائلا:

TW. @Rabe3_elkotob

- حسنا دعنا نذهب إلى شقتنا الآن، فالوضع لا يُنذِر بأية محاضرات اليوم كما ترى.

لملم أغراضه ووضع المذكرات فى حقيبته ثُم تبعه، وقد بدا جليا أن كلا منهما قد وجد صديقه الذى لم يكلفه عناء البحث عنه، لكن القدر تكفل بذلك.

****

الحسين- عمارة العزولي

الدور الثالث

شقةٌ من غرفة واحدة ومرحاض ومطبخ، الغرفة تحوي سريرين خشبيين ومكتبٍ صغير، ومرآة ودولاب مشطور لكلٍ منهما شطره، أخرج معاذ ملابسه من حقيبته ووضعها في شطره، أخرج الأشياء الهامة ووضعها فى جيبه، هو بعدُ لم يعرف الفيلسوف جيدا، ربما يكون لصًا أو خائنًا، الاحتراز هنا أمرٌ ضروري.

أشياؤه الهامة كانت محفظته وهاتفه و ....

- المذكرات

صرخ بها معاذ عندما وقعت يده عليها فى حقيبته، ربما لأنه كان قد بدأ فى نسيانها!

معاذ لم يكتشف بعد تبريراً للسعادة التى تغمره فور الإمساك بتلك المذكرات أو القراءة فيها، لطالما تجذبه إليها ويهيم فى عالمها ما إن يفتحها، سيقرأ الآن لأنه فى حاجة للسعادة.

استفتح باسم الله ثم أكمل من حيث انتهى، الصفحة الثامنة

****

TW. @Rabe3_elkotob

2005/1/12

كنت فى الصف الرابع الابتدائي وقتها، عدت إلى المنزل بعد يوم دراسي شاق، فتحت حقيبتي وأخرجت كتاب الرياضيات ،فإذ بورقة لا أذكر أنى قد وضعتها فى هذا الكتاب من قبل، فتحتها لأجد فيها بخط كبير جدا كلمة " أحبك "

ومن تحتها بخط أصغر كُتبت بالانجيزية "i love you ".

وقتها لم أكن أعرف معنىً للحب، فابتسمت وأنا لا أدري أكانت ابتسامة ساخرة أم نشوة الحب، فضولي الشديد لمعرفة صاحب الورقة رجح الثانية، ألقيت الورقة وغصت فى نوم عميق لم أستيقظ منه إلا عصرا.

أحدهم قال لي "أحبك "، أمر جعلنى شاردة الفكر بقية اليوم، لا زلت حتى الآن عاجزة عن معرفة سبب هذا الشعور الذى راودنى عقب قراءتي لهذه الكلمات، معاذ الله أن أدعي أنى قد وقعت فى الحب وقتها، ولكن بربك أيتها الكلمات ماذا فعلتى بي؟!

يقولون أن كلمة " أحبك " إذا قيلت لك فإنها تعطيك من السعادة ما يوازى عقدين من الأعياد والأفراح والمناسبات السعيدة، هذا ما شعرت به وقتها، وكأن الدنيا بما فيها قد جاءت لترقص معي، تعاهدت على تتبع الأمر حتى الوصول إلى حقيقته.

فى اليوم التالي استدرجت صديقاتي، ربما يعرفن شيئا لا أعرفه، أنكرن ونفين علمهن أي شيء عن أمر الورقة، سعيت حثيثا بلا جدوى، ولأن الفضول قد يقتلك أحيانا كان لا بد من استعمال عقلي، ولا دهاء يفوق دهاء المرأة.

على مقربة من مسامع الجميع قلت لإحدى صديقاتى كذبا:

" تعلمين بأمر الورقة تلك، وإنى واضعةٌ ردي على ما جاء فيها فى ذات الموضع الذي وجدتها فيه، علَّ صاحبها قد يأتى ليعرفه فيُريح ويستريح".

TW. @Rabe3_elkotob

فى الخلوة وبعد انصـــراف الجميع مكثت غير بعيد أراقب حقيبتي، أنتظر من يأتي ليطلب ما فيها، وما بين جنبي قلب لا يتوقف عن النبض المتسارع.

لم أنتظر كثيرا حتى جاء أحدهم على أطارفه، وفتح حقيبتي وأخذ الورقة ثم قرأ ما بها وابتســم ورحل، لم يكذب حدثي وكان الشــخص الذى توقعته، أخى (بدر) كان يداعبنى كعادته.

على الرغم من أننى أكبُره بعام كامل إلا أنه يدرس معي فى نفس الصـف، دخلت أنا ذات الســبع ســنين وهو ذو الســت ســنين المدرســة فى عام واحد، أمرٌ كان يضايقنى كثيرا لا أعرف لماذا، وكان يمثل عبئا ثقيلا علىّ، لا أعرف لماذا أيضا.

بعيدا عن كل هذا، أنا أحبه جدا، فهو رغم شـجاره الدائم معي إلا أنه سـيظل الركن الذى أرتكن إليه وقت الشــدائد، لن أنســى ما فعله بذلك المعلم الذى أهانني يوما بلا وجه حق، لقد كان موشـكا على التهامه كما يلتهم الأسـد فريسـته لولا أن خلصـه المدرسـون من يديه، فعل ذلك عندما سـمعه ينعتنى بالعرجاء، كنا فى الصف الثالث الإعدادى وقتها.

نسيت أن أقول أننى كُنت قد كتبت فى تلك الورقة :

" أعرف خطّك جيدا يا بدر ، فهو كما عهدته ســيئا جدا، ولكنه الوهم، أنا أيضا أحبك كثيرا "

****

بمرور الأيام والصفحات لم يعد لديه شك أنه قد وقع فى حبها، الشغف لقراءة ما كتبت، وعشـق تفاصـيلها، والتيه الذى يدخل فيه كلما قرأ كلماتها، واسـمها الذى أصبح على لسانه دائما، أليس هذا كله عشق؟!

على اســتحياء قرر ولأول مرة أن يخبر أحدا بأمر تلك المذكرات، لم يتبادر فى ذهنه سوى شخص واحد...

TW. @Rabe3_elkotob

بحث عن الفيلســوف فى أرجاء الشــقة فوجده على مكتب غرفته، اقترب منه شيئا فشيئا ليجده ممسكا بإحدى الروايات، شاء القدر أن تكون هذه الرواية هى " فى قلبى أنثى عبرية "، أمر اختزل المسافات، وأزاح عنه عناء المقدمات.

جلس بجانبه ثم ضرب بيده على المقعد قائلا:

- يوسف أيها الفيلسوف، أفتنى.

لم يلتفت إليه وقال وعينيه ما زالتا فى الرواية:

- ألا ترى ما أفعل؟! ، إن لم يكن فى الأمر بُد فاذهب وبعد قليل عُد.

قال ملحاً كطفل فى السادسة:

- لا لا، إنه أمر هام.

رد وهو ما زال يقرأ فى الرواية:

- حسنا أيها المهمل، هات ما عندك.

ابتلع ريقه، ثم نظر إلى نافذة الغرفة قائلا:

- فى قلبى أنثى من دمنهور.

أغلق الفيلسوف الرواية ووضعها بجانبه، ثم نظر إلى معاذ بحبٍ قائلا:

- وبالطبع لن تكون تلك الأنثى التى تحبها أفضــل من تلك العبرية التى كنت أقرأ عنها، هات ما عندك يا صديقي فكلي آذان مصغية.
- حسـنًا، ولكن أولًا حدثني عن الحب، ماذا تعرف عنه أيها الفيسـوف، فلا أُحدثك عن شيء حتى أعلم مدى إلمامك به، أوقعت فيه؟ أشعرت به؟أعانيت منه؟

رفع كلتا حاجبيه بالتناوب، ثم قال مستنكرًا ما قاله معاذ:

TW. @Rabe3_elkotob

- الحب ؟؟ أوتســألنى أنا عن الحب يا معاذ؟! فوالله لكأنك طلبت من راعٍ للغنم أن يحدثك عن إحدى نعاجه، لا تغرنك الفلســفة التى أدعيها فالحديث عن الحب يجُبُّ ما قبله من فلســفة وثرثرة، الحب أن يشــعر أحدهم بالســعادة فقط لأنك ســعيد، الحب هو العطاء دون انتظارٍ للجزاء، الحب هو ...

على استحياء قاطعه معاذ:

- يبدو أنك لم تفهمني، فى الواقع كنت أقصد الحب الذى ...

رد له الفيلسوف مقاطعته:

- والواقع أن الحب ليس شــيئا مما تظنون، الحب ليس كلاما بالليل وأحاديثًا عنه بالنهار، الحب أفعال وليس تنهدات كاذبةٍ وأقوال، الحب هو أن يتقلب أحد المحبين على وســادته ليلا وهو مبتســم غير مكترث بأن الآخر قد يخلف وعده له، الحب هو الثقة.

أطرق من حديثه فقال يمدحه:

- يبدو أنك تجيد الحب، يالاحظ حبيبتك بك.

قال نافيا كأنما وُجه له اتهام:

- لا، لم أحب.

صرخ فيه مُفزَعًا:

- ويحك، أتأمرون الناس بالحب وتنسون أنفسكم؟!
- أقصد أننى لم أحب فقط، بل عشقت إحداهن، الحب يقتصر على المبتدئين فقط، ولا يصلح للمحترفين أمثالي، العشق ثم العشق ثم العشق.

TW. @Rabe3_elkotob

- رائع، حدثنى عنها، أين هى؟ من تكون؟ كيف وجدتها؟

رد بمزاج منعدم بعد أن استلقى على المقعد وهو يتأفف:

- حبيبتى ماتت،منذ عامين.

فُجع معاذ من رده، من يرى الفيلســوف لا يمكنه التنبؤ بمروره بكارثةٍ كتلك، لكنه أخذ يواسيه وهو يستفهم منه عن الأمر فى ذات الوقت:

- ماتت! آسف جدًا لإيلامك، ولكن كيف ماتت؟
- فى حادثة تصادم.

قال مستمرًا فى مواساته، وهو يتمنى لو أنه لم يفاتحه فى هذا الأمر ويُوجِعه:

- ســحقا لهـذه الطرق، ولعنـة الله على المســئولين عنهـا، لقـد بُحَّـت أصــوات الناس وهم يرجون تمهيدا لها، ألم يأن لهم أن يعملوا بجِدٍ ولو لمرة واحده؟!

صمت ثم استطرد عندما لم يجد تعقيباً:

- عذرا لوقاحتى، ولكن فى أى نوع من أنواع التصادم ؟

أجاب بلا اهتمام وهو ما زال شاردًا:

- فى حادثة تصادم قلبين.
- تصادم ماذا؟!أظن أننى لا أفهمك.
- عليك أن تعرف أن الموت هو الفقدان، من مات فقد أفتقدته، ومن تركك ورحل فقد أفتقدته أيضــا، كلاهما موت، ولكن هذا خطؤنا، فيبدو أننا قد أسـرفنا فى تمهيد الطرق إلى القلب، فأصـبح الوصـول إليها سهلا، ومغادرتها أسهل كما ترى.
- بربك من أين جئت بهذا القانون؟

TW. @Rabe3_elkotob

- فى دولة الحب يضع أصحاب القلوب القوانين التي تناسبهم.

حاصره الفيلسوف بحديثه فلم يجد معاذ بدًا من مجاراته قائلا:

- إذًا البقاء لله .. هَوَنَ الله عنك.

قام من مقعده وهمَّ بالرحيل وهو يقول:

لا عزاء فى الحب، هذا قانون آخر من قوانين القلب.

استوقفه معاذ يستجديه محاولًا استيعابه :

- بربك أمجنونٌ أنت، ماذا فعلت هي لتلقى منك كل ذلك؟

توقف ثم نظر إليه بعينين فارغتين وملامح حُزنٍ عتيق، تنساب منه الدموع على خديه دون بكاءٍ وهو يتذكر ما فعلته به قبل عامين، وكيف قتلته دون ذنب، أمام الحاحه لم يجد بدًا من إخباره بكل شيء، ففعل.

****

8 مارس 2011 (قبل عامين من الأن)

الكون كله كان يرقصُ فرحاً بيوسف، الفيلسوفُ يتعجل والديه كى لا يؤخراه عن الموعد الذى انتظره منذ زمن، غداً سيكون ملِكا بمدرسته، غدًا سينفذ وعده ويرتبط بها، يرتبط بأميرة القرية وقمرها المضيء، جميلة الجميلات (علياء).

علياء هى منذ أن رآها قبل عامين فى إحدى الدروس الخصوصية بالشهادة الإعدادية، حين تخرج على الرجال تسحرهم، وعلى الفتيات فتقبحهن.

TW. @Rabe3_elkotob

بالاستقصاء عرف عنها كل شيء، لا يجابهها أحد، الملكة جمالا والأكثر مالاً فهى ابنة أغنى أغنياء القرية وأعزهم نسبا، والفيلسوف بحالته المادية هذه لا ناقة له بها ولا جمل.

" الحب الصامت " كان خياره الوحيد، أخذ يحبها دون أن يعترف لها، كانت له فى أحلامه فقط حيث هناك يستطيع أن يفعل بها ما يشاء، تطور الحب سريعا إلى عشق، وأصبحت علياء بمثابة الروح لجسد الفيلسوف ،لقد فعل كل شيء يمكن أن يُطلق عليه " الحب الضعيف".

" ضُعفاءُ الحب " هم شرذمةٌ من المغفلين، يعشقون ويكتمون، يتخذون من الضعف مبررا والخفاء ساترا، يموت أحدهم وهو على دين الحب دون إشهار، هؤلاء من تسببوا فى إستبداد الحكام بصمتهم، وقتل القلوب بضعفهم، فالصامتُ عن الحب كالمذعن للظلم؛ كلاهما جبان.

تسرب نبأ حبه لها بين أصدقائه، فالحبُ وحده يُعرف بالصمت، وهو الفيلسوف الذى يتباهى دوما بكبريائه وإذلاله للفتيات، كان يقول دائما باعتزاز "الفيلسوف لا يُرفض قط "، والآن جاء الوقت ليتحققوا من ذلك.

تحدوه أن يتقدم لها وجرّوه إلى قبول التحدي، فقبله...

فى البداية أرسل لها مرسالًا عبر إحدى صديقاتها يستطلع الأمر، علياءُ قالت لرسول يوسف أنها لا تُمانع فى التقدّم إليها، وحددت الموعد الذى يمكنه المجيءُ فيه لمقابلة والدها، واشترطت أن يُحضِر والديه معه.

قال له غير واحد إنها " علياء " يا "يوسف "!

كان يُجيب دوما " الحب أعلى".

نصحه الكثيرون أن يتريث ويستقصي الأمر، فالوضع مريب، وعلياء بكبرها الذى عُرفت به لا يمكنها الموافقة على شخص لا تعرفه بهذه السهولة.

TW. @Rabe3_elkotob

قال لهم واثقًا " الحبُ يَجبُّ ما قبله"

قالوا له أنها رفضت قبله من فاقوه مالا وعلمًا ،وكان أخرهم طبيبٌ ثرى.

قال لهم يخزيهم "القلبُ حين يختار لا يضعُ شروطًا للاختيار"

لم يكن يثق فيها بقدر ثقته بنفسه، لم يكن يعلم أن ثقته تلك ستقتلهُ يومًا.

الآن... هو يقفُ أمام بابها فى الموعد الذى حددته مع والدها سلفا، يدق الباب ودقات قلبه، ينتظر بفارغ الصبر مرور تلك الساعات، يحمل فى يده علبة "شيكولاتة" فاخرة، ادخر ثمنها من مصروف جيبه.

دخلوا وجلسوا، لحظاتٍ مضت حتى قال والدهُ لوالدها والسعادةُ تغمره:

- جئنا نطلب كريمتكم لولدنا.

رد والدها يُجاريه وهو يبادله البسمات:

- إنه لشرفٌ عظيمٌ لنا.

الفيلسوفُ أطرق فرحًا، بينما رَبَتَ والده على كتفه يُبارك له حلمه الذى أشرف على التحقق.

والدة الفيلسوف بلطفٍ وكما هو العُرف طلبت رؤية العروس ومباركتها.

وأتت العروس ...

فتاةٌ سمراء نحيفة البدن متسخة الثياب ليس لها أدنى علاقة بالجمال!

الفيلسوف صرخ يستغيث:

- لا، ليست هى، هُناك لبس، أين علياء؟

والد علياء فُزِع وقال يرمقه بغضب:

- علياء ! وما دخلُ علياء فى الأمر؟

TW. @Rabe3_elkotob

الفيلسوف أجاب بارتباك " هى العروس، ألم تقل لك!"

ثم أردف مستجديا " نادِها أرجوك"

والد علياء صرخ فيه:

- علياء العروس ! أجُننت، لقد قالت أنك جئت تطلب يد خادمتنا " شـــيماء" التى نحتضـــنها منذ طفولتها بعد وفاة والديها، قالت أنك اعتبرتنا أهلًا لها فجئت تطلبها منا.

قبل أن ينطق الفيلسوف ببنتِ شفه جاءت " علياء " تضحك، قالت ساخرة:

- أظننت حقا أنا مثلى قد يقبل الارتباط بمثلك؟!

الدهشـــة والصـــدمة والهول والفزع أوقفوه عن التحدث للحظات، بعد عناءٍ استطاع النطق ليقول:

- لكن، لماذا يا علياء؟
- تقول أنك لا تُرفض؟ ها أنت قد رُفضـت، تدعى أنك ذكى؟! ها أنت قد خُدعت، والآن أنت لا شـيء، ولن تجروء على التباهي والتفاخر مرة أخرى والتقليل من الفتيات، أليس قمة انتصـار المرأة على الرجل هو أن تقتل فيه رجولته وتستبيح كرامته؟!

بالكاد استطاعت قدماه الوقوف ليرحل، علياء استوقفته قائلة:

- ثم إن الفقراء لا يُهادون الأغنياء، خذ هديتك تلك فوالديك فى حاجة إليها أكثر منا.

والداه ما كانا فى حاجة إلى هدية بقدر ما كانا يفتقرا إلى حياة غير تلك التى ســلبها ولدهم بما حدث الآن، مؤلمٌ جدا أن تخذل أى شـخص ، لكنه شـــعورٌ قاتل عندما يكون هذا الخذلان لوالديك.

TW. @Rabe3_elkotob

على أصـــوات الضـــحكات خرجوا جميعـا يجرون خيبـاتهم، الأب والأم والابن الخاذل.

على بابهم وبدموع والدته التى اختلطت بكحلها خطَّ يوســف بســبابته " هنا تم تدميرى"

****

أمام الدموع صــمت معاذ، أحيانًا يكون الصــمت أمام الدموعِ أمرٌ مســتحب حيث تعجز كلمات المواسة عن المواسة، فدعوا الجميع يحزن بهدوء.

الفيلسوف كسر الصمت قائلا:

- أتعلم يا معاذ، قرأتُ ذات مرة عن رغبة مجنونة جدا، أظُنها تراودنى الآن.

معاذ قال مستنكرا:

- رغبة مجنونة!
- وددت لو أتيح لي أن أعبث بالماء والصـابون، حيث أصـنع فقاعات من صابون أتابع تطايرها فى السماء.
- ثم ماذا؟

سأل معاذ فتابع الفيلسوف :

- ثم أطلِق على الفقـاعـات أســمـاء أرواح خـذلتني ورحلـت، وأتـابع انفجارها فى الهواء بصمت.

قـال رغبتـه المجنونـة ثم اســتـدار وهو يغـادر ضـــاحكا بجنون، معـاذ قـال يستوقفه:

- أتعلم أنت؟ليس جُرمًا أن ترفض الفتاة عرضك لها بالحب.

TW. @Rabe3_elkotob

التفت إليه مرة أخرى وقد أثاره حديثه، قال صارخا:

- بالله عليك وأين احترام الحب يا رجل، إنه ليس أخًا أو أبا أوعما أو قريب، يجيئك وقلبه متيمٌ بك، ينحى خجله عنه ويكسر أعراف وتقاليد مجتمعه فقط ليقول لك أنك أغلى ما له فى الحياة ويصارحك بحبه، ألا يستدعى كل ذلك أن تتريث - ولو قليلا- قبل أن تمسك بمطرقة الرفض وتُحطم قلبه الذى انحاز رُغمًا عنه لك، ألا يستحق كل ذلك أن تقول له بلطفٍ "رزقك الله بقلبٍ آخر أفضل منى فقلبى لغيرك " ألا يستحق كل ذلك أن...

قالها ثم سكن فجأة، وقال وهو يولي راحلا:

- ألا يستحق كل ذلك أن تخرج من حياته بصمتٍ لا بجُرح. معاذ أدرك مؤخرا أن الأمر لا يتحمل جدالا أكثر من ذلك، فالفيلسوف قد انفجر بكل ما تعنيه الكلمة من معانٍ، عليه الآن أن ينسحب ويغير المسار، قال يستوقفه مرة أخرى:
- انتظر أيها الفيلسوف، معك حق فيما تقول ولكن ماذا عن حبيبتى؟ ألن تساعد صديقك؟

التفت إليه مرة ثالثة وهو يرمقه بغضب قائلا:

- قلت حبيبتك وليست حبيبتى، عليك أن تؤسس دولة الحب الخاصة بك، عليك أن تحكمها أنت فقط، وأن تضع القوانين التى تناسبك، لا تُشرك أحدًا معك فى حكم دولتك.
- على رسلك أيه الفيلسوف، كنت أطلب منك النصح فقط، أنا لا أطلب منك أن تتزوجها أنت أو تشاركنى حبها، فقط ساعدنى.
- إذًا حدثنى عنها، كيف ومتى وجدتها ولماذا وقعت فى حبها و...

قاطعه معاذ على استحياء:

TW. @Rabe3_elkotob

- فى الواقع أنا بالأســـاس لم أجدها، ولا أعرف لماذا وقعت فى حبها، ولا أعلم عنها شيء سوى اسمها.

قبل أن ينفجر فيه الفيلسوف، استوقفه معاذ يستجديه قائلا:

- -أرجوك انتظر، سأُخبرك بكل شيء.

أخرج حقيبتها من أمتعته ثم اصـطفى منها المذكرات ليريها للفيلسـوف، وبدأ فى شـرح الأمر برمته لصـديقه الذى بدت عليه علامات الدهشـة طيلة الحديث، عندما انتهى من السرد همهم الفيلسوف:

- عظيم، فى البداية ســألتنى عن الحب وأفضــت، فقل لى ما الحب عندك؟

اعتدل معاذ فى جلسته حيث اقتضاه الحديث لذلك، ثم قال واثقا:

- حســنا، الحب عندي هو الحياة، أنا أحب إذًا أنا موجود، أحب أمى التى لم أرها، أحب أبى الذى ليس لى فى الحياة سـواه، أحب أصـدقائي الذين أشاركهم أفراحي وأحزاني، ووطني الذي يحتضنني و...

ثم صمت لبرهة وقال وقد احمرَّ وجهه خجلا:

- وأحب إسراء أيضا.

الفيلسوف سأل بمكر:

- لحظة، من تكون إسراء هذه؟

استفزه السؤال، لكنه تماسك قائلا:

- بربك هل نسـيت، إسـراء هى صـاحبة المذاكرات التى أريتك إياها وهى محورحديثنا.

لوّح ببطء:

TW. @Rabe3_elkotob

- لا لم أنسَ، ولكن اقول لك من إسراء هذه كي تحبها؟

ثم أردف يبتزه عاطفيا:

- أنت لم ترَ منها سوى صورة من حبر وورق، وكلمات كتبتها كاتبة روايات كما قالت فى مذكراتها، بربك أبهذا يكون الحب؟ مُذ متى تسحرنا الكلمات يا رجل!

نجح فى ابتزازه فثار يدافع عن حبه صارخا فيه:

- نعم بهذا يكون، مُذ أن وقعت عينى على صورتها أيها الفيلسوف، لا بل قبل ذلك، حين ظل المقعد خاويًا شعرت بنقص لم أشعر به من قبل، كما أنه دائما ما يراودنى شعور مُلِح بأننى فى حاجة إليها، الحب عندى قاعدة شاذة لا يُقاس عليها.

الفيلسوف أجاب ساخرا:

- دعنى أخبرك بأمر آخر، فى الواقع هى ليست جميلة.

بتحدٍ قال معاذ:

- أعلم، أنا لم أحبها بعيني بل بقلبي، العين تصطفي الجميل الذى يتغير جماله، لكن القلب يختار الجميل الذى لا يتغير جماله، هى في عيني أجمل نساء الأرض، اسمع أيها الفيلسوف لقد خُلقت إسراء لتكون لمعاذ، أكرر"خلقت اسراء لمعاذ"...

رد يوسف ضاحكا:

- لقد جُنَّ معاذ بإسراء، أكرر لقد جُنَّ معاذ بإسراء.

قام معاذ غاضبا وهمَّ بالرحيل، لكن يوسف استوقفه ثم ربت على كتفه قائلا:

TW. @Rabe3_elkotob

- اســمع يا صــديقى، الحب ليس كلمات وشــعارات، الحب أفعال وتحركات، قل لى ماذا تفعل إذا التقيت بإسراء هذه فى أحد المواصلات صدفةً، هل تستطيع أن تقترب منها وتهمس فى أذنها قائلا "أنا أحبك" متحملا نتيجة تلك الفعلة؟!

تعثر وارتبك للحظات، ثم اعتدل وقال واثقا:

- أفعل إن ضمنت لى أربعة أمور.

هز الفيلسوف رأسه موافقا، فاستطرد معاذ يعدد على يده :

- الأمر الأول: أن تضــمن لى أنه لن يتعرض لى وقتها جميع من فى المكان بالضرب المبرح.

الأمر الثاني: أن تضمن لى أنهم لن ينعتونى بالجنون.

الأمر الثالث: أن تضــمن لى أنهم لن يقدموا بلاغا للشــرطة يتهمونى فيه بالتحرش.

صمت معاذ وتمادى فى الصمت حتى انتزعه الفيلسوف من صمته قائلا:

- والأمر الرابع؟

انقض عليه وأمسك بياقته يمازحه قائلا:

- والأمر الرابع: أن تضمن لى أن أجدك بعدها لأبرحك ضربًا.

بدَّل معاذ هزله جَدا ثم أعلى صوته صارخا:

- أجُننت؟ أوتحسب هذه جرأة ! إنها الوقاحة يا صديقي.

الفيلسوف بمكرٍ تابع استفزازه أكثر قائلا:

TW. @Rabe3_elkotob

- سـمعنا كثيرا عن شـخصٍ أحب شـخصـا آخر وهذا الآخر لا يشـعر بوجوده، لكننا لم نسمع مطلقا عن شخص أحب شخصا لكن الآخر لا يعرف بوجوده، أيها العاقل هى لا تعرفك من الأساس.

معاذ متأخرًا، أدرك أن الفيلسوف يحاول بكل الطرق استفزازه، فقال بهدوء :

- لكننى لم أسـمع بكل هذا، لقد سـمعت عن الحب فقط، إسـراء جلعتنى أدرك متـأخرًا أن الحيـاة لا يمكن أن تُطـاق بلا حـب، وهـذا بالنسبة لي أمرٌ كافٍ.

ابتسم يوسف إعجابا بكلام معاذ، ثم قال يُصارحه:

- من حديثك هذا أستطيع أن أستنتج حقيقة واحدة.

ثم طاف حول معاذ وطوقه بذراعيه قائلا:

- إنك تحبها، تحبها بصـدق يا صـديقي، أنت بالفعل لا تمتلكها، ولكن أرجوك حافظ عليها واسْعَ جاهدا للفوز بقلبها.

ثم مدَّ يده لمعاذ وهويقول:

- أعـاهـدك أن أسـاعـدك فى هـذا، وأن أكون أحـد الشـاهـدين على زفافكما أيضا.

مد معاذ يده يصافحه، فسحب يوسف يده وكأنه تذكر شيئا قائلا:

- لقد قلت أنها وضعت أربعة شروط لابد من توافراها فيمن سترتبط به؟
- نعم، أو بالأحرى قالت أنها صفات فارس أحلامها.

سأله متشككًا:

- وهل تتوافر فيك تلك الشروط ؟!

TW. @Rabe3_elkotob

- فى الواقع، لا.

إذًا عليك أولا وقبل كل شـيء أن تسـعى جاهدًا فى تحقيقها، كن لها فارس أحلامها أولًا.

صمت ثم تابع حديثه وكأنه يفكر بصوت عالٍ:

- الالتزام ، الشجاعة ، الثقافة ، الشهرة.

ثم نظر لمعاذ متسائلًا:

- حسنًا، هل أنت مستعد لتفعلها؟

معاذ قال بتحدٍ:

- أجل مستعد، سأفعلها من أجل إسراء.
- جميل ، لنتفق أولا على تلك القاعدة، فى كل مرة يجب أن يشـهد لك شخصٌ ما بأنك قد نفذت شرطاً من تلك الشروط ،اتفقنا؟
- اتفقنا، حيَّ على الحب يا صديقي.

تصافحا و تعانقا ثم انصرف كل واحدٍ منهم إلى ما وراءه.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

وقد يُصبح المرء ملتزما بدافع الحب !

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

(3)

الطريق إلى الالتزام

لقد قرر بحقٍ أن يتغير، أفعاله قالت ذلك، لم يكن يتوقع أحد أن يحدث هذا يوما مع معاذ بما عُرف عنه من إهمال وتكاسل، ولم يكن قرار التغيير سهلا عليه بالمرة، لكنه الحب مُطاعٌ، والعاشق بحقٍ لا يعصي له أمرا.

اشترط على نفسه أن يحقق كل ما تمنته إسراء فى فارس أحلامها، عاهدها أن يفعل كل ذلك فى عام واحد، منّى نفسه بملحمة جديدة فى الحب وتطلع إلى إضافة قصتهما إلى قصص العاشقين العظماء، وأن يُضرب بهما المثل كما فُعل بعنتر وعبلة، روميو وجوليت، قيس وليلى، أضاف إليهم فى نفسه "إسراء ومعاذ ".

(سأحتسي القهوة مع الدكتور حسن منير فى يوم الأحد الموافق 1 \ 10\ 2014 سأحمل يومها علبة "شيكولاتة" فاخرة من التى تظهر على التلفاز، ستكون " كوفرتينا ")

بتحدٍ كتب هذه الكلمات وقام بلصقها على المرآة؛ ليُذكِّر بها نفسه كل صباح ومساء، ويراها كلما أراد رؤية نفسه، فقد أصبحت إسراء حُلمًا لا يفارقه وواقعا يتمنى أن يعيشه، أقسمَ أنه سيفعل أى شيء فى سبيل الوصول إليها، سيفوز بها إن صدق.

TW. @Rabe3_elkotob

فى رحلةِ الحياةِ ثمة أشـياء تظهرُ لنا فجأةً: لتغير من مسـار رحلتنا، ربما للأفضل وربما للأسوأ، لكن التغيير فى حد ذاته جيد، فلا حياة فى رحلةٍ سلكت نمطاً واحدًا.

صادف معاذ التغيير فى رحلة القطار، أقنع نفسه أن هذا التغيرهو الأفضل، لم يدرك بعدُ أن نهاية الرحلة فقط هى من تحدد ذلك، سيدرك ذلك متأخرا،متأخرا جدا.

أراد كسب الوقت فجلس أمام الحاسوب الخاص به، أعد كوبًا من الشاى الساخن وأضاف إليه مكعبات الحليب المثلج وارتشف منه رشفةً استطعمها، ثم كتب على محرك البحث "جوجل" ببلاهة : "كيف تصبح شخصا ملتزما".

"جوجل" - رغم إلمامه بكل لغات العالم- لم يفهمه، لكنه حاول تقريب الأمرعليه فسأله: هل تقصد كيف تصبح ملتزما دينيًا؟ أم كيف تصبح ملتزما أخلاقيا؟ أم كيف تصبح ملتزما دراسيا؟

استفزه هذا الأمر كثيرا، فقد فتح عليه أبوابا كثيرة فى الالتزام، كان يريد إجابة شافية لكن "جوجل" عقد له الأمر برمته فلم يجد بدًا من اللجوء إلى الفيلسوف، لكنه شعر بالحنين إلى المذكرات مرة أخرى، فأخذها من على مكتبه ثم استلقى على سريره وبدأ من حيث توقف فى المرة الأخيرة، الصفحة الثالثة عشر

كان يعلوها تاريخا وضح كثيرا سياق الحديث القادم...

****

TW. @Rabe3_elkotob

28 يناير 2012

قبل عام من الآن كنتُ أحتسي كوبا من اللبن الساخن أمام التلفاز، كان يُجانبنى أبى وأمى وإخوتى، وبينما نحن جلوس طرق أحدهم الباب بشدة يطلب أبى.

خرج أبى وظننا جميعا أنه سينهره على ذلك، لكن ما إن خرج حتى دخل مهرولا وهو يرتدى ملابسه سريعا، سألته عن السبب فقال أنهم يريدونه أن ينضم إلى اللجان الشعبية لتأمين الشارع الذى نسكن فيه، وحمايته من اللصوص وقطاع الطرق.

تشبثت فيه بشدة، أريد النزول معه فدفعنى بذات الشدة وقال إنه لن يتأخر، كما أن الوضع خطير جدا بالخارج، ومن الأفضل أن أظل هنا بجانب والدتى.

اتجهت لها وسألتها: لماذا يريدون حماية الشارع اليوم؟ وهل ظهر اللصوص هكذا فجأة ؟! ولماذا لم يذهب أبى إلى عمله منذ ثلاثة أيام؟ ولماذا تحولت كل المحطات التلفزيونية إلى قنوات إخبارية؟ لماذا توقفوا عن عرض المسلسل التركي الذى ننتظره؟ لماذا يأتى بدلا منه ذاك الأحمق الذي يصرخ دائما ويطالب ببقاء الرئيس وإخلاء التحرير؟ وما هو التحرير؟ ومن هم الموجودون فيه؟ وما الذي يريدونه؟ وهل كانوا نائمين؟ لماذا لما أراهم من قبل ؟!

"إنها الثورة" بهاتين الكلمتين أجابت والدتى على كل تساؤلاتى، والآن وبعد عام كامل من هذا اليوم أستطيع القول بأننا قمنا بالثورة على الفاسدين، ولم نقم بها على الفساد.

لا سامح الله حُكامًا سفهاء، استخفوا بأحلام الشعوب ورأوا فى إذلالهم إبقاءً لهم، ولا سامح شعوبًا جبناء رأوا فى صمتهم نجاةً لهم.

الويلُ، كلُ الويل لمن طغى وتجبر، والذل كل الذل لمن رضى وتسمّر، تالله لقد أفلح كل من قال لا عز إلا بالثورة.

****

TW. @Rabe3_elkotob

- حسنا، عدت لإسراء ومذكراتها ثانية أيها المهمل.

قال يوسف مقاطعًا خلوة معاذ كعادته، ثم أردف متأففًا:

- يا صديقى لا وقت لذلك الآن، جاهد أولا فى تحقيق ما طلبته إسراء منك، وستكون هى لك وليست مذكراتها فقط، ابحث عن السعادة الأبدية، ولا تكتفى بتلك الكبسولة التى ستنتهى وقت انتهائك من قراءة المذكرات.

أقنعه، فقال بتحدٍ:

- معك حق، والآن دعنا نبدأ، أريدُ أن أصبح شخصًا ملتزمًا، سألت ذلك اللعين "جوجل" فلم يستطع إفادتي، يقولون إنه لا يُرَدُ له سائلًا مهما كان سؤاله، من قالوا ذلك كاذبون، فها هو قد خذلنى، بل وعقد لي الأمر، أشِرْ عليَّ أنت؟
- قل لى أولاً هل تقصد ملتزما دينيا أم أخلاقيا أم دراسيا؟

انتفض معاذ وهو يصرخ بيوسف غاضبًا:

- بربك لا تكرر لي ما قاله ذلك اللعين، افعل أى شيء قد يصنع منك شخصا ملتزما، أى شيء يا يوسف، حان وقت إستخدام فلسفتك التى أوجعتنا منها.

داعب شفتيه بيديه ثم دمدم قائلا:

- ولكن الالتزام يا صديقي ليس سهلا كما تظن، الجميع يطلبه والكثير يدّعيه، لكن فى الواقع قليلون هم الملتزمون على هذه الأرض.

رد معاذ مستفهما وهو يطوف حول يوسف:

TW. @Rabe3_elkotob

- إذًا فلماذا لا أكون أنا منهم؟! صـدقنى يا صـديقى لدى رغبة حقيقية فى التغيير.

ابتسم ثم ربت على كتفه يطمئنه:

- بالتأكيد ستكون منهم، لا تقلق ما دُمتُ أنا معك.

بادله معاذ الابتسام ثم همَّ بالرحيل، لكنه توقف سائلا:

- على ذكر التغيير ، ماذا تعرف عن الثورة؟

أشاح بيده فى وجهه يستوقفه :

- لحظة، وما علاقة التغيير بالثورة؟

قال متشككا:

- ألم تقم الثورات من أجل التغيير؟!

تملقه بدهشةٍ مفرطة:

- تقم الثورات !! عن أى ثورة تحدثني؟

ظنه يمازحه فقال باستخفاف:

- فى الواقع لدينا ثورتان، ثورةٌ قبل عامين تُدعى ثورة يناير وأطاحت بمبارك، وأخرى لم يمضِ عليها أكثر من ستة أشهر، فى يونيو تحديدًا وأطاحت بالإخوان.

تكور الفيلسوف على نفسه وانفجر ضاحكا، حتى صمت أمام دهشة معاذ قائلا:

- من خدعك بذلك! فى الواقع لقد تمت الإطاحة بالشعب فى كلتا الثورتين.

TW. @Rabe3_elkotob

- لا، لقد سمعت فى التلفاز أنَّ .....

قاطعه:

- أتعلم، من يقومون بالثورات لا يتجاوزون خمسمائة بالمائة من إجمالى عدد الشعوب، ورغم ذلك هناك من يستطيع إفشال ثورتهم وجعلهم مخربين، ويستطيع إنجاحها ويجعلهم ثائرين.

أمام حيرة معاذ تابع الفيلسوف:

- الإعلام يفعل ذلك، أثناء الثورات يتحول إلى شيطان ينفث سمه فى الناس، يوسوس لهم، ويصور لهم - إن أراد- الخير فى هيئة الشر والشر فى هيئة الخير، النازي هتلر رئيس الألمان فى الحرب العالمية الثانية، كان أول من أدرك خطورة الإعلام، أضافه إلى أسلحته التى استخدمها فى حروبه ثم...

صمت الفيلسوف فقال معاذ يستعجله بعد أن تشوق للحديث:

- ثم ماذا يا يوسف؟!
- ثم دُمرت ألمانيا.

معاذ اعتاد أن لا يدخل نقاشا لا علم له به، فهو كالكثرين غيره لا علاقة لهم بالثورة أو السياسة بالأخص، الفيلسوف أدرك ذلك من خلال الحديث، فقال مستنكرًا:

- إذًا أنت منهم يا معاذ!!

معاذ أدرك ما يقصده الفيلسوف، لكنه قال متبلهًا:

- منهم!! من تقصد؟

TW. @Rabe3_elkotob

- عبدة البطون، الذين إن امتلأت بطونهم فرغت عقولهم، الذين لم يدركوا بعدُ أن الحكام ما هم إلا بشر أمثالنا، وليسوا آلهة، أعذرنى على وقاحتي، ولكن من المؤكد أنك ورثت هذه الصفات من والدك، ووالدك توارثه من والده، و...
- لا

قالها معاذ بحزمٍ ثم تابع:

- أبى خطيبٌ مفوه، لا يخشى فى الحق لومة لائم، قبل خمس سنوات على أحد المنابر، وذات جمعة كان المحافظ متواجدا فى ذات المسجد الذى يخطب فيه أبى، صعد أبى على المنبر وحمد الله ثم أثنى عليه وقال -يقصد المحافظ - وقد كان وقتها لم يمضي أسبوعا على انقلاب أحد قطارات محطة كفر الزيات: " أيها الناس ، إن بينكم فاسدٌ نجِس ، أخرجوه صحت صلاتكم "
- وهل خرج المحافظ من المسجد؟

قال يوسف متلهفا فتابع معاذ بأسفٍ:

- لا، بل خرج أبى، فقد تم اعتقاله من قِبَل حرس المحافظ وهو على المنبر، وقضى فى السجن ستة أشهر، عانيت فيهم ضعف ما عانى.
- إذن والدك شجاع، فلماذا ما أنت عليه!
- لا ثورة بلا دماء، والدماء ثقيلة جدا يا يوسف، لا طاقة لي بها، تحملوها أنتم معشر الثوار إن أردتم، أما أنا فتحمل الذل عندى أهون بكثير من تحمل الدماء.

الفيلسوف أدرك أن معاذًا متحجر على ما يعتقده، وأنه مهما فعل لن يستطع أن يثنيه عن رأيه، فآثر عدم مناقشته وتركه وانصرف.

****

TW. @Rabe3_elkotob

عندما خرج الفيلسوف لم يعد لمعاذٍ أي شاغل يشغله، فاستسلم للنوم، وإن صدق من قال بأن الأشخاص الذين تفكر بهم دائما يحلون - غالبا- ضيوفا عليك عند النوم، فمعاذ الآن على موعد مع إسراء، سيلتقي بها لأول مرة.

عندما غطّ فى النوم جاءته إسراء...

من شدة نصوعها لم يستطع معاذ تمييز ملابسها، حتى أجزم أنها ترتدي قطعة من نور، ما أن التقت أعينهما حتى بدأ الركض.

فقد كانت إسراء تنتظره على باب أحد القطارات التى كانت قد بدأت فى التحرك، مدت له يدها ومد هو يده وحاولا التلاقي .

القطار كان يبتعد، ومعاذ يركض وإسراء تبتسم، ظل يلهث طوال الحلم محاولا اللحاق به حتى تعرق جسده بكامله، وفى نهاية الحلم لم يستطع اللحاق بها.

قام من نومه مفزعا مبللا، حتى اهتدى إلى صوت الفيلسوف وهو يتحدث فى فناء الشقة، فاتجه نحوه يستقصي .

- حسنا سنكون عندك بعد صلاة العشاء كما اتفقنا يا أستاذ (بلال) ، وبالله عليك لا تنسى عصير الفراولة، افعل شيئا جديدا فقد مللنا من هذا الشاي.

قالها الفيلسوف وهو يقهقه ثم التفت إلى معاذ الذى كان ما يزال يفرك فى عينيه، بعد أن أغلق سماعة الهاتف قائلا :

- وها نحن نبدأ أولى خطوات الالتزام بعد ساعات يا صديقي.

داعب رأسه قليلا ثم قال وهو لم يتعافى من النوم بعد:

- هل يبيع الأستاذ بلال هذا حبوب الالتزام؟

TW. @Rabe3_elkotob

- نعم هو كذلك، ستأخذ حبتين صباحا ومساء، ومن ثمَّ تغدو شخصا ملتزما.

استفاق على استخفاف الفيلسوف به صارخا:

- لا لا، أنا لا أفهم شيئا منك أيها الفيلسوف.
- أعرف، ستفهم عندما نكون هناك.
- نكون هناك! أين؟؟
- فى منزل الأستاذ بلال، سأتصل بك بعد ساعة واحدة كى تستعد ونذهب له.

قالها وهو يتجه نحو باب الشقة ويبتعد شيئا فشيئا حتى اختفى؛ ليترك معاذا ورأسه وحيدين فى محاربة كل الاحتمالات.

****

التاسعة مساء (بعد ساعتين)

شقة من ثلاث غرف تقبع بمدينة نصر، فى الحى السابع تحديدا، يرن جرسها ليدخل معاذ ويوسف، بينما يلتفت يمينا ويسارا ذاك الشاب القمحاوى البشرة المنمق الوجه وصاحب القامة القصيرة، لم يستسغ معاذ حالة هذا الشخص وتوتره الذى لم يستطع إخفاءه بتلك الابتسامة المصطنعة التى شقّت طريقها بين شفتيه.

اسمه بلال، بلال شاكر، بتفوقه استطاع أن يصبح معيدا بكلية الشريعه الإسلامية بعد أن تخرج منها قبل ثلاث سنوات بتقدير الامتياز وحصد مرتبة الشرف.

TW. @Rabe3_elkotob

ولأنه عرف أن التعليم هو حرفته التى يجيدها، فقد قرر المكوث فى القاهرة وعدم العودة إلى مسقط رأسه بلبيس بالشرقية.

ما أن دخل معاذ حتى وقعت عينه على مجموعة من الشباب بأعمار متقاربه يشكلون حلقه أو دائره يتوسطهم بلال الذي اخرج من جيبه مصحفا صغيرا ثم قال وهو يبتسم :

- "بسم الله الرحمن الرحيم، شكرا لكم جميعا على الحضور والآن دعونا نبدأ يا إخوتى، ولكن أولا أترككم للحظات كي تجددوا نواياكم".

نظر معاذ إلى الفيلسوف الذى علم أنه لم يستوعب ما يحدث بعد، ولكنه فضَّل تجاهل نظراته حتى ينتهى الموعد؛ ليشرح له الأمر برمَّته، ولكن معاذ ظل يرمقه بغضب.

- "تعلمون جيدا أن الساحة السياسية مشتعلة الآن وهى أرض خصبة للحديث، ولكنها ليست موضع حديثنا اليوم فسوف نتحدث سويا عن الجهاد".

قالها بلال ثم استطرد وهو ينظر لمعاذ قائلا:

- - "ولكن دعونا أولا نتعارف حتى يعرف جديدنا قديمنا، أخوكم فى الله بلال شاكر عبد التواب من مركز بلبيس بالشرقية، معيد بكلية الشريعة الإسلامية."
- - أخوكم فى الله حسن أكرم مرزوق، من مركز مغاغا بالمنيا، الفرقة الثالثة بكلية الصيدلة.
- أخوكم فى الله أسامة محمد على، من قرية البكوات ببنى سويف، الفرقة الأولى بكلية الشريعة والقانون.

TW. @Rabe3_elkotob

- أخوكم فى الله محمد سالم سليم، من مركز منشأة القناطر بالجيزة، وأدرس بالفرقة الثانية بكلية اللغة العربية، شعبة التاريخ والحضارة.
- أخوكم فى الله أحمد حسن مجاهد، من مركز دمنهور بالبحيرة، الفرقة الرابعة بكلية العلوم.
- أخوكم فى الله يوسف أكرم الفيلسوف، من مركز سنورس بالفيوم، الفرقة الاولى بكلية الإعلام.

ثم جاء دور معاذ فابتلع ريقه وقال:

- معاذ، معاذ عز الدين، من قرية دلجمون مركز كفر الزيات بمحافظة الغربية، طالب بالفرقة الأولى بكلية الإعلام.

بابتسامة مصطنعة، تجاهل بلال عدم ذكر معاذ لكلمة "أخوكم فى الله" قبل التعريف بنفسه، ثم قلَّب عينيه بين البقية، وبدأ حديثه عن الجهاد بقوله تعالى "وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله".

أثناء الحديث كان معاذ شاردا، عينه مع بلال، وقلبه وجوارحه منهمكة فى التفكير فيما يحدث وما يقوده إليه الفيلسوف، وهل يا تُرى هذا هو الالتزام الذى ينشده؟ ومنذ متى يكون الإلتزام بالانضمام إلى الأحزاب والجماعات؟!

****

فى طريق العودة ظلا صامتين بانتظار من يصطنع الحوار، تكفل بذلك الفيلسوف وقال وهو يركل حجرا يعوق الطريق وكأنه عاق حديثهما أيضا:

حسنا يا معاذ، أظنك قد عرفت كل شيء الآن.

لم يتكلم وأومأ برأسه دون ان يلتفت إليه أن نعم، فاستطرد الفيلسوف:

TW. @Rabe3_elkotob

والآن ماذا ترى؟ ألا ترى نفسك على أول درجات سُلم الالتزام؟

بعينين فارغتين ووجه بلا أية ملامح لفرح أو حزن، قال معاذ بصوت متحشرج:

جماعة الإخوان المسلمين، أليس كذلك؟

شعر يوسف أن معاذ يسخر منها أو يقلل من شأنها فانفجر يدافع عنها قائلا:

- أجل، هم أهل الالتزام ومنبع الملتزمين، لا تجد فيهم إلا عالما أو فقيها، ولا مكان بينهم لجاهل أو سفيه، أبناؤهم والمنتسبون إليهم يحصدون الدرجات العليا دائما، والأوائل منهم لا جدال، كل الفاسدين عليهم وأغلب الصالحين منهم، يدرك العاقل جيدا قدر تضحيتهم، ويحتار الجاهل فى الهدف من تلك التضحية، لطالما جاهدوا من أجل دعوتهم كثيرا، وتحملوا عنَّا أكثر، قضوا فى المعتقلات أكثر مما قضوا فى بيوتهم، والشهادة تعرفهم جيدا، يدفعون من قوت أبنائهم ما يبنون به دعوتهم، ويؤمنون جيدا بالتمكين وعودة الخلافة على أيديهم، أليسوا بذلك يبنون لنا طريق الالتزام يا صديقي؟

ابتلع ريقه بعد أن صعقه الفيلسوف بكلماته، ثم قال مجاريا له:

- نعم تحملوا أكثر، حتى أنهم تحملوا أكثر من طاقتهم، قد يكونون بحق أهلا للالتزام، ولكنهم ليسوا أهلا للسياسة يا يوسف.

لوح بيده، ثم قال متغاضيا:

- لست مستعدا أن أدخل معك فى نقاش سياسي الآن، ولكن اعلم أن الجماعة التى يُغتال مؤسسها، ويُسجن قادتها، هى بحق الجماعة التى يحاربها الغرب؛ لإنه يعلم أنها ستفعلها وتقيم الخلافة، وتقضى على إسرائيل وتعيد المجد للإسلام.

TW. @Rabe3_elkotob

معاذ سأل مغيرًا مسار الحديث:

- إلى أى حدٍ تكره إسرائيل يا يوسف؟!
- أكرهها أكثر من علياء.
- وفلسطين؟!
- أعشقها أكثر من علياء، حين كنت فى ذروة عشقي لها.
- لماذا لم تحرورها إذًا؟
- نُحرِر عقولكم أولا.
- حسنا، دعك من الحلم العربى هذا، والكلام الحماسي الذى نسمعه منكم دائما، دلني على طريق غيره للالتزام.
- صدقنى هذا هو الطريق الصحيح، الإخوان المسلمون والالتزام وجهان لعملة واحدة.

قال وهو يلوح بيديه مودعا ويبتعد:

- إذًا سأبحث أنا عن طريق آخر لا يعرف الجماعات ولا يتعصب للأحزاب، فمهما فعلت هذه الجماعات من خير فهى فى النهاية تدعو للتفرقة وتُمهد للفتنة، لعنة الله عليهم.

****

قضى الليل كله متأملا فى سقف غرفته، شاردا كما عاهد نفسه وقت اختلاط الأمور عليه، ومذبذبا أيضا بين كل خيارين يُخير بينهما، هو كما هو،" معاذ عزالدين " الشاب الذى لم يعرف يوما إلى أين يذهب ومن أى طريق سيعود.

انفصل عن العالم للحظات وتاه فى عالمه الخاص، وراح يبحث فى أعماقه عن اليقين، يستحضر فيه والده بحزمه وعزمه وثقته بنفسه، وماذا كان يفعل عندما تساوره الشكوك وتحوم حوله الفتن؟؟

TW. @Rabe3_elkotob

لقد كان يُـ...

" الله أكبر ، الله أكبر"، إنه آذان الفجر يقطع عليه خلوته ويُعيده إلى العالم مرة أخرى، لطالما سمعه كثيرا ولم يستجب له، شيء ما كان يثبطه في كل مرة.

" الصلاة خير من النوم "، ما أكثر الأيام التي خالف فيها هذا النداء وفضل النوم على الصلاة.

" حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح "، ما إن سمعها معاذ حتى انتفض من على سريره وصاح قائلا:

وجدتها، الآن تذكرت ما كان يفعله والدي عندما تختلط عليه الأمور، لقد كان يصلي، نعم كان يصلي ويحدث الله كثيرا عما بقلبه.

بخطىً متسارعة اتجه نحو المرحاض وتوضأ، ثم اتجه ناحية غرفة النوم وأحضر سجادة الصلاة التي جاء بها من دلجمون، وعندما شرع في الصلاة تذكر ذاك الحديث الذي يسمعه منذ نعومة أظافره، "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة"

ولأن الفيلسوف لم يعد حتى الآن، فلم يكن أمامه سوى أن ينزل إلى هذا المسجد المجاور لشقته؛ قاصدا الصلاة والبحث عن اليقين، والالتزام.

"قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة " سمعها وهو على بُعد خطوات من المسجد، فأسرع الخطى حتى يلحق بتكبيرة الإحرام.

تذكر وقتها ما دار بينه وبين والده قبل عشر سنين، كان في التاسعة من عمره عندما أخبر والده بأن أحد جيرانه قال له "لا تُسرع هكذا حتى تلحق الركوع من أجل أن تحتسب لك الركعة، ولكن عليك بالتأني فأنت بين يدى الرحمن، ولست في سباق"

TW. @Rabe3_elkotob

أوليست الصلاة مغفرة للعبد، ألم يقل الله تعالى" وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض!"، هذا ما قاله له والده وقتها.

لحِق بتكبيرة الاحرام كما أراد، لم تدمع عيناه منذ زمن، ولم تدمع فى الصلاة من قبل، لكنها فعلتها هذه المرة، لم تتحمل صوت الإمام العذب عندما قرأ قوله تعالى:

" قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله"

من بين تساقط الدموع استطاعت بسمة خفيفة أن تشق طريقها بين أسنانه؛ لتمتزج الدموع بالفرح عندما سمعه يقرأ قوله تعالى "وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له"

بعد الصلاة انصرف الجميع إلا هو، أراد أن ينفرد بالإمام علّه يصل إلى اليقين، اقترب منه ورسم ابتسامته ومد يده وصافحه قائلا:

- السلام عليكم يا شيخي، اسمي معاذ، من محافظة الغربية وأسكن هنا حتى أكون قريبا من دراستي بجامعة الأزهر.

أدرك الإمام وقتها أن معاذا لم يدخل هذا المسجد من قبل؛ لأنه لا يعرف اسمه، لكنه تجاهل هذا ورسم ابتسامته قائلا:

- وعليكم السلام، أخوك في الله (رضوان).

تغيرت ملامح وجه معاذ ما إن سمعه يقول " أخوك فى الله "، ثم تراجع خطوة للخلف قائلا:

- عذرا يا شيخ رضوان، ولكن هل تنتمى لجماعة الأخوان المسلمين أيضا؟!

تملقه الشيخ بشده ورمقه بضيق ثم قال ناهرا اياه :

TW. @Rabe3_elkotob

لماذا تقولها؟! ويكأن الانضـمام لجماعة الإخوان من خوارم الفسـق والمروءة! ولماذا تقول ذلك من الأساس؟ ومن أنت وماذا تريد؟؟

ابتلع ريقه وشعر أنه قد أساء الحديث، فحاول موارة ذلك بابتسامة مصطنعة وهو يقول:

- آسـف لوقـاحتي، ولكنـك قلـت "أخوك في الله"، وهـذا مـا يقولـه الإخوان.

قهقه الشيخ رضوان ثم ربت على كتف معاذ قائلا:

- عذرا يا بُني لانفعالى عليك، خلتك مخبرا، ولكن هل تنسـب كل من يقول لك"أخوك فى الله" إلى جماعة الإخوان المسـلمين!! ألم يقل الله عزوجل فى كتابه العزيز "وكونوا عباد الله إخوانا"؟
- بلى، عذرا يا شيخ فقد أسأت الفهم.

قالها معاذ وعينه تلتصق بالأرض، فلوح الشيخ بيديه قائلا:

- لا عليك، لا عليك، ولكن قل لي لماذا يبدو من حديثك أنك تكره الإخوان؟

لوّح بكلتا يديه فى وجه الشيخ قائلا:

- لا لا، أنا لا أكره أحدا يا شيخي، ولكنى أبحث عن الالتزام.

قالها معاذ وهو يلحظ علامات التعجب على وجه الشيخ رضوان، فلم يجد بُدا من إخباره بكل شيء، بدءًا من إسراء ومذكراتها وشروطها، نهاية بزيارته لبلال فى رحلة البحث عن الالتزام.

TW. @Rabe3_elkotob

أثناء الحديث تغير وجه الشـيخ أكثر من مرة، اسـتوقفه كثيرا أن شـابا فى هذا الزمان أحب فتاة إلى حد التغير من أجلها، ما أسـعده اكثر أن هذا التغير للأفضل

- والآن وقد انتهيت من قصـتي، جاء دورك يا شـيخي بربك دلني على الالتزام.

قالها معاذ وقد تسلل إليه الجزع، لكن الشيخ فاجأه قائلا:

- ولكن كيف أدلك على الالتزام وأنا لا أرى أمامي إلا شـابا ملتزما حق الالتزام!!

تعثر فى النطق، وزاد قلبه فى الخفقان، وقال بثقل:

- ما .. ماذا تقول ؟؟ولكن ك .. كيف؟؟

ابتسم له الشيخ رضوان وهو يضع يده على كتفه قائلا:

- اسـمع يا بني، إن الله تعالى قد أمرنا بتقواه، وتأدية فرائضـه واجتناب الفتن ما ظهر منها وما بطن، انظر إلى نفسـك يا معاذ، ماذا فعلت عندما أحببت فتاة؟؟ لقد سـعيت جاهدا فى تحقيق رغابتها حتى تفوز بها، ولم تحاول التواصـل معها حتى الآن رغم أنها لم تغب عن بالك أبدا كما يبدو من حديثك، أليست هذه هى تقوى الله؟؟
والصـلاة، تقول أنك كنت مهملا في صـلاتك، ولكن عينك تقول أنك لن تتركها بعد اليوم، وقد بدأت توبتك بالفعل عندما نزلت رغم برودة الجو لتصـلى الفجر، وعندما رفضـت التحزب أو الانضـمام للجماعات، ألم يكن ذلك تجنبا للفتن؟!

TW. @Rabe3_elkotob

صـــدقنى يـا بني أن الالتزام يتحقق عنـدمـا تكون لـديـك الرغبـة الحقيقية فى الالتزام، وهذا ما رأيته فيك منذ اللحظة الأولى، عيناك أيضا تقول ذلك باستمرار.

تنفس ببطء، لا بل لم يعد قادرا على التنفس، وكأنه يلهث بعد أن قطع شـــوطا طويلا فى ســـبـاقـه، لقـد أقر لـه الشـــيخ الآن بـأنـه قـد خطى خطوة من الثلاث خطوات اللاتى تفصلهن عن طريقه نحو حلمه، نحو هدفه، نحو إسـراء.

قبّل يده وانصـــرف مســـرعا إلى البيت، الأرض كانت تحمله وتحلق به ليصـــل ســـريعا، عليه أن يكمل طريقه والجميع يدعمه الآن، الأرض تحمله والســـماء تُفسح طريقها للشـمس كى يتنفس الصـباح، والعصـافير حوله تطوقه وتنشـد له أهازيج الانتصـار، والندى يتسـاقط على زجاج السـيارات من حوله كى يخطّ بيده على إحداهن " الشرط الأول "

***

TW. @Rabe3_elkotob

أصدق ما قاله نزار

" الحب للشجعان، الجبناء تزوجهم أمهاتهم "

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

(4)

البحث عن الشجاعة

هناك من يقول أن الإنســـان يمكنه البقاء بدون طعام لمدة أربعة أيام، وبدون ماء لمدة أربعة أيام أيضـــا، وبدون تنفس لمدة أربع دقائق، لكنه فى نفس الوقت لا يستطيع الحياة بدون الأمل لأكثر من أربع ثوانٍ.

معاذ ســـيعيش طويلا، طويلا جدا، فهو يملك من الأمل ما لا يملكه غيره، لقد تجاوز الخطوة الأولى فى طريقه إلى هدفه، بقي له ثلاث خطوات، ســـيعبرهن إن تابع السـير كما بدأه، فمن عادة البشـر أنهم يُخدعون بالبدايات الجيدة،عليه أن ينتبه لذلك.

اليوم انتهى من امتحـانـات الفصـــل الـدراســي الأول، كانـت خطوة فى طريق الالتزام، اســتطاع أن يخطوها بنجاح، الوقت لا ينتظر أحدا، وعليه أن يبدأ فى خطوته الثانية ســـريعا إن أراد الامســـاك بلجام أحلامه، إنه الفارس الآن والسباق قد بدأ بالفعل.

الشـجاعة، هى وجهته القادمة، سـيكتسـبها أو سـيكتشـفها، هو نفسـه لا يعلم إن كان شجاعا أم لا، لكنه لا يذكر أنه قد خاف يوما من أحد.

TW. @Rabe3_elkotob

" إن كانت الشـجاعة هى عدم الخوف من الآخرين فأنا شـجاع " بهذا حدث نفسه.

لكنه عاد منتكسـا عندما تذكر أنه لم يجرؤ يوما على المشـاركة فى الإذاعة المدرسـية، حتى السـباحة يذكر أنه ذهب إلى البحر أكثر من عشـر مرات لكنه لم يقدم على السباحة أبدا؛ إنه يخاف منه كثيرا.

أمام التلفاز جلس يشاهد الأفلام ويتقمص أبطالها، أراد الشجاعة الخيالية..

ما أكثر الموهمين فى عالمنا، يظن البعض أن أبطال السـينما أبطال حقيقيون، وأن ما يفعلونه امام الكاميرات هو نفس ما يفعلونه خلفها.

مسـاكين أنتم حقا، أتعلمون أن منهم من يخاف النوم بمفرده بينما قد ترى له فيلم رعب من الدرجة الأولى، وقد تراه يصـارع "ديراكولا" بينما هو فى الحقيقة ما زال خائفا من صوت تلك القطة التي تسكن تحت نافذته.

يا كل عاقل على الأرض إياك والوهم، فلا أنت سـتقفز من مبنى إلى آخر طائرا، ولا أنت سـتمر من نار موقدة وتخرج منها على قدميك دون جروح، ولن تظل حيا بعد أن تطعن أكثر من عشـرين طعنة، هذه الأفلام تُصـنع لنشـاهدها لا لنقلدها، استفيقوا يرحمكم الله.

الليل يداهم الأرض الآن، الجميع قد اسـتعد لاسـتقباله عدا معاذ، لم يعلم بذلك بعد فهو لم يعد يفرق بين ليل ونهار، فكل الوقت يقضـيه فى غرفته وحيدا شـاردا سـاكن الأعضـاء، تاركا عقله يبحث له عن طريق للشـجاعة، وعينه تتأمل تلك الصـورة التى لا تغيب عنه، أما قلبه فهو فى قرية شـرنوب بدمنهور؛ حيث تسكن إسراء، لا بد أنه بخير الآن.

يدق هاتفه النقال على بعد أمتار منه، يحاصره الأرق الممتزج بالكسل، فيفكر مليا فى عدم الذهاب إليه ومتابعة تخيلاته، لكنه يتذكر أن الفيلسـوف لم يعُد

TW. @Rabe3_elkotob

بعد، ربما يخبره أنه قد يتأخر ولن يُحضـــر طعاما معه، وأنَّ عليه هو أن يجهز العشـــاء، هذا أمر خطير جدا بالنســـبة له، ويســـتدعى المجازفة والرد على الهاتف.

- معاذ .. بُني، ألم يأخذك الشوق إلى والدك بعد؟

بصوت دافئ قالها الشيخ عز الدين فى بداية حديثه مع معاذ الذى أجاب بلهفة:

- أجل، أجل يا والدي بالتأكيد، اليوم انتهيت من امتحانات الفصـــل الدراسي الأول، ولدي أسبوعان كاملان سأقضيهما معك إن شاء الله.

قال وقد تضاعفت نبضات قلبه:

- حمدا لله، لقد كدت أن أنســى وجهك أيها المهمل، ثلاثة شـــهور مرت على آخر لقاء بيننا، كان شاربك طويلا وشعرك أيضا وكُنت...

قاطعه معاذ يتعجله خوفا من نفاذ رصيده:

- يكفي هذا يا شـــيخ عزالدين حتى لا ينفذ رصـــيدك، ســـأكون عندك غدا بإذن الله، ويمكنك تفقد كل ذلك بنفسك.

قال وهو ينهي المكالمة أيضا:

- حسنا حسنا أيها المهمل، ألقاك غدا بمشيئة الله.

****

كعادة البشـــر وقت الاختناق واختلاط الأمور، ذهب إلى النافذة واصـــطحب معه المذكرات؛ ليقف متصفحا سير العالم من حوله.

بدا على وجهه الاهتمام وتمتم بحزن وخيبة أمل:

TW. @Rabe3_elkotob

كل هؤلاء الناس وأنا هنا بمفردى!! كل هؤلاء لا يشغلهم البحث عن إسراء، كل هؤلاء لا يُقتلون وجعا كل يوم مثلي، كل هؤلاء على قيد الحياة وأنا هنا قد سُرقت حياتي، لماذا أنا دوما لا أرى من أحبهم؟ لماذا لم أرى أمي، ولا إسراء أيضا؟!

شعر بحرارةٍ على خديه بعد أن هاجمتهما الدموع، إنه يبكى الآن على غير عادته، لم يفعل ذلك منذ زمن، لا بل لم يفعله من قبل.

عاد إلى غرفته ثانية مصطحبا المذكرات معه، أخد يقلب صفحاتها تباعا، نالت الدموع من المذكرات تماما كما نالت صاحبتها منه، لقد غيرت له حياته وجعلته لأول مرة يقع أسيرا للانتظار، لقد وصفت له الطريق إلى قلبها، لكنه ليس سهلا عليه بالمرة.

تلاشت فرحة اجتياز الخطوة الأولى وسط حيرته وعجزه عن الثانية، الوضع مأسوي الآن، ويستدعي كبسولة من الأمل أو لحظات من الحب، سيحصل عليهما من مذكراتها.

فتحها ليبدأ من حيث انتهى فى المرة الأخيرة، لم يكن يعلم أن هذه المرة سيتفاجأ كثيرا أكثر مما يتخيل، لكنه حدث .. تسارعت نبضات قلبه مُذ أن وقعت عينه على عنوان هذا اليوم، لقد كتبت إسراء :

****

TW. @Rabe3_elkotob

الثلاثاء

1 فبراير 2013

مستشفى دار السلام بدمنهور

أنا بخير الآن، الحمد لله، لقد كان أمس عصيبا جدا عليهم - أعني أسرتي-، فأنا حقا لم أشعر بما حدث لي ولا أذكره، لكن ما رواه لى أخي بدر أفزعنى كثيرا.

يقول أخي بعد إلحاح عليه لمخالفة تعليمات والدي بعدم إخباري بما حدث:

- كنا جميعا جلوس نتناول وجبة العشـــاء، كان كل شـــيء طبيعيا جدا إلى أن لاحظت أمي تساقط الدم من فمك على طبق الطعام، صرخت وألقت الطعام من يدها وانطلقت نحوك تســـتقصـــي الأمر، واتجه الجميع نحوك بعدها.
- إنه حقا لشـــيء مفزع ومحيّر أن يختلط دمك بـالطعـام أمـام أعين والديك وأخوتك.
- قلت ذلك لبدر فى محاولة لتبرير وجودى فى المشـــفى، فاســـتطرد بعد أن رمقني بحب:
- ليس هذا فقط يا جميلتي ولكن هناك سـبب أقوى اسـتدعى وجودك هنا.

أقلقني حديثه كثيرا فقلت في لهفة:

- وما الذى قد يحدث ويفوق تساقط الدم من فمي؟؟

كان متلعثما بعض الشيء، هو لا يريد إخافتي، ولكنه أيضا يريد إخماد فضولي الذى ظهر بشدة وقتها، التقط أنفاسه ثم زفر قائلا:

TW. @Rabe3_elkotob

- عندما اتجهنا نحوك جميعا وجدناكي غير قادرة على التحرك من مكانك، ثم فقدتي الوعي فجأة، قمنا بحملك إلى غرفتك دون أية حركة منك؛ مما زاد من الخوف إلى حد القلق.
- لمعت عيناي وفتحت فاهى مندهشة، بينما أردف بدر:
- بعدها قام أبي بفحصك جيدا وحاول جاهدا إيقاظك، لكنكي لم تستجبي، بل ولفظتي دمًا من فمك مرة أخرى ثم ...

قلت وقد جذبنى حديثه بقدر ما أخافني:

- ثم ماذا يا بدر؟ أكمِل...

فتابع حديثه وقد بدأ صوته يتفاعل معه:

- لم تتحمل أمى الوضع ورقودك أمامها بلا حركة، ففقدت الوعي أيضا.

قبل أن أنطق ببنت شفه وضع يده أمام فمي ثم لوّح قائلا:

- لكن لا داعيَ للقلق فهى بخير الآن وقد استفاقت بعد أقل من ساعة.

التقطت أنفاسي ثم أومأت برأسي ليكمل حديثه، فأكمل قائلا بحزن:

- عندما عجز أبي عن إفاقتك قرر اصطحابك إلى المشفى لعمل اللازم معك.

أخذ بدر نفسا عميقا ثم قال:

- وبعد وصولك المشفى بساعتين استطاعوا أخيرا إفاقتك.

نظر يرمقنى بعطف وقال وهو يحتضننى:

TW. @Rabe3_elkotob

- لا تقلقي يا عزيزتي، فقد أكد لي أبي أنك ستكونين بخير، ويمكننا اصطحابك إلى منزلنا الليلة إن أردنا، لكننا سنتركك حتى الصباح كي تتعافي تماما.

انصرف بدر مبتسما، إنه قويٌ جدا، لقد استطاع حجب دموعه أثناء حديثنا، لكن صوته أفصح عن كل شيء، لقد كان صوته على غير عادته حزينا، لم يسلم من الحشرجة، صدقا أنا لا أدرى لماذا منع عني بدر دموعه، لكن ما يقتلني لماذا أراد البكاء من الأساس؟!

- بدر...أتعلم أنه رغم شجارنا الدائم ومضايقتك لي إلا أننى أحبك...جدا، أخى أنت عضدي فى الأرض، إياك أن تنكسر أمامي ثانية، أرجوك...

****

أغلق المذكرات واحتضنها، وأطلق العنان لعينيه لتسكب ما شاءت من دموع؛ لم يستطع تخيلها وهى تلفظ دما من فمها، هو بالأساس لم يتقبل فكرة مرضها.

على خلاف خُطته، شعر للمرة الأولى برغبة شديدة فى رؤيتها، أو على الأقل الاطمئنان عليها، تمكنت منه هذه الفكرة إلى حد جعله يطلب الفيلسوف على وجه السرعة فى أمر هام جدا، كما قال له أثناء المكالمة.

- ما بك يا معاذ؟! لم تتعجلنى هكذا من قبل؟! بل إنك تطلب مني الخلوة دائما.

قالها الفيلسوف فور وصوله، لكن معاذ الذى كان فى انتظاره قاطعه قائلا:

إسراء...

TW. @Rabe3_elkotob

رمقه بتعجب، ثم قال وهو يقترب منه:

- لا تقل لى أنك...

قاطعه ثانية وقال بحزم:

- أريد أن أراها، فى أسرع وقت.

لم يكن الفيلســوف يتوقع حدوث ذلك من معاذ، على الأقل فى هذا التوقيت المبكر الذي لم يستطع فيه تحقيق شروطها، فقال محاولا أن يراجعه عن هذا الأمر:

- لكنك قلت يا معاذ أنك لن...

قاطعه ثالثةً وقد شقّت الدموع طريقها وسط عينيه:

- ساعدني.

لم يفهمه فقال محاولا استيعابه:

- أنا لا أفهمك يا معاذ، ما الذى جعلك تـ...

قاطعه للمرة الرابعة وقد اختلط صوته بالبكاء:

- أرجوك.

هنا أيقن الفيلسوف أن أمرا ما قد حدث، ربت على كتفيه ثم قال:

- اهدأ يا معاذ واشرح لى الأمر.

ارتمى على صدره وانهمك فى البكاء، من بين النحيب استطاع أن يقول:

- إنها مريضة، إسراء مريضة يا يوسف.

قمة الحب أن تبكي المرأة على رجل تحبه، وقمة العشــق أن يبكى الرجل على مرأة يعشــقها، ثمة حياة أخرى يمنحها الحب للمتحابين، هذه الحياة تســتحق

TW. @Rabe3_elkotob

البكاء إذا ما كانت عُرضـــةً للزوال، معاذ يبكى الآن لأن حياته قد تُســـلب منه، والفيلســـوف لم يأخذ وقتًا طويلا ليدرك ذلك، فعانقه بصـــمت، وعاهده أن يساعده.

****

تحت تلك البناية الشـــاهقة انتظراه أكثر من خمس دقائق حتى جاء إليهما، ما إن تصافحا حتى قال يوسف متذمرًا:

- تأخرت علينا كثيرًا يا ابن قريتي، لقد أخبرتك أننا على عجلٍ من أمرنا، هل حقا أن كل من يدخل كلية الطب يُصبح متكبرًا؟ وإن كان فعلامَ؟

قهقه ثم لوح بيديه قائلا:

- لا لا، كنت أجفف ملابسـي فقط، تعلم أنني وحيدٌ هنا، أما عن تكبرنا فلك أن تعلم أن طالـب الطب هو أكثر الطلاب الجـامعيين معـانـاة وأقلهم حظًا، نقضـي سـبع سـنين من عمرنا فى الدراسـة، ومثلهم فى التدريب بإحدى المســتشــفيات الحكومية المُعدمة، فتُبدَد أعمارنا، ناهيك عن أعداد طلاب الطب فى البلاد التى تصـــل إلى عشـــرة آلاف خريج ســنويا، الحكومة لا تســتطيع تســكين هذا العدد، فكيف تبني لهم العيادات؟! نحن نعاني يا يوسف.

ثم صمت يندب حظه للحظات وأردف:

- دعك من كل هذا، طلبتني فى أمر هام، خيرًا؟
- خيرًا بإذن الله، قبل كل شـيء دعني أعرفك على صـديقي معاذ، معاذ عزالدين، يدرس معي فى كلية الإعلام، شابٌ خلوق جدا.

ثم نظر إلى معاذ وأشار إلى ذلك الطالب قائلا:

TW. @Rabe3_elkotob

- هذا صـــديقى وأخي، ابن عمى وليد، يدرس بالفرقة الخامســة بكلية الطب، تفتخر قريتنا به كثيرا وتنتظر منه أكثر، وعدهم قبل خمس ســنوات أنه إذا دخل كلية الطب فســوف يجعل الكشــف بالمجان لأبناء بلدته، وها هو قد دخل، وها نحن ننتظر.

مد وليد يده لمعاذ يصافحه قائلا:

- سُررت بلقائك، وما دمت صديقًا للفيلسوف فاعلم أنك بخير.
- "فى الواقع هو ليس بخير، ولذلك جئناك".

قالها الفيلسوف ثم أردف متأثرا:

- دعونا نُكمل حديثنا فى هذا "الكافيه" ونتناول مشروبا...

اتجهوا نحوه ودخلوه، طلبوا ثلاث مشروبات غازية، ثم تكفَّل الفيلسوف بشرح الأمر بدلا من معاذ الذى بدا شاردًاطوال الحديث، لا يُفكر فى شيء سواها.

عندما انتهى الفيلسوف نظر وليد لمعاذٍ بإشفاق، ثم قال مواريا قلقه:

- فى الواقع إنَّ بصْقَ الدم أو نفْثَ الدم أو السعال الدموي هو سعال مصحوب بخروج سائل مخاطي دموي، ومصدره الشعب الهوائية أو الأنف، قد يتبادر لذهن المريض فور اكتشــافه خيوطا دموية عند البصــق اصــابته بالســل، وعلى الرغم من ارتباط الســل بالبصــق الدموي، إلا أن أمراض الجهاز التنفســي الشــائعة تعتبر من أكثر أسباب البصق الدموي.

ثم ابتلع ريقه وتابع بثقة:

TW. @Rabe3_elkotob

- لا يشكل البصق الدموي ذاته مرضًا خطيرا، لكنه يعتبرعَرَضًا لتطور أمراض أخرى خطيرة بالجهاز التنفسي، وهنا تكمن خطورة بصق الدم.

معاذ سأل بقلق :

- أمراض خطيرة؟! مثل ماذا؟!

ارتشف رشفة من الكوب المقابل له وأردف:

- يعتبر بصق الدم من الأعراض الأكثر شيوعا، والمسببة لأمراض الشعب الهوائية المزمنة والالتهابات، وغالبا ما يكون مصحوبا بأمراض أخرى كالتهاب الشعب الهوائية المزمن، والتهاب القصبات المزمن، وتوسع القصبة والالتهاب الرئوي،سرطان الرئة وأمراض القلب، وهو أخطر تداعيات بصق الدم.

ثم صمت للحظات وسأله بغتةً وكأنه تذكر شيئا:

- لكن هل ذكرت فى مذكراتها أعراض بصق الدم الذى تعرضت له؟

معاذ أجاب بقلق:

- لا، لم تذكر، هل أعراضه خطيرة؟!
- تختلف أعراض البصق الدموي من شخص لآخر؛ لاختلاف المرض المسبب ودرجة تقدمه، عندما يكون البصاق فاتح اللون يمكن أن يكون المريض يعاني من سعال جاف، ويكون مصدر الدم خدوش بسيطة في القصبة الهوائية.
عند ارتفاع حدة النزيف يعاني المريض من انخفاض ضغط الدم، وضيق شديد بالتنفس يستلزم خضوعه للتنفس الصناعي، يبدأ المريض في السعال المصوب ببلغم مائل للاصفرار، ممزوج بخيوط

TW. @Rabe3_elkotob

أو بقع دموية حمراء، وعند تطور الحالة يصبح البصاق باللون الأحمر الداكن .

تزوَد الرئتان بالدم من الشرايين، إحداها تابع للدورة الدموية الكبرى والأخرى تابع للدورة الدموية الصغرى، في الحالات المتقدمة والتي يصاحبها نزيف حاد يكون التضرر في جدار الشعب الهوائية التي تزودها الشرايين المرتبطة بالدورة الدموية الكبرى.

الفيلسوف أطرق من حديث صديقه وليد، ومعاذ ما زال يحرك رأسه للأسفل في إشارة إلى إدراك ما يعنيه الطبيب الشاب الذى تابع حديثه قائلا:

- بعد خضوع المريض لفحص دقيق بواسطة طبيب الأنف والأذن والحنجرة، وعمل الأشعة المقطعية على الصدر وتحاليل خلايا الدم، ينبغي القيام ببعض الفحوصات للتأكد من خلو المريض من مرض السل أو إصابته بسرطان الرئة، ويعتمد علاج البصق الدموي على سبب النزيف.
- "إذن للبصق الدموى علاج؟"

سأل الفيلسوف فأجاب وليد:

- بالطبع ، لكل مرضٍ علاج، ومن الأدوية المعالجة للمرض تزويد المريض بمحلول ملحي من كلوريد الصوديوم، والمزود بمواد تساعد على تضييق الأوعية الدموية مثل "الإبينفرين أو الفازوبروسين" وذلك للمساعدة على الوقف الفوري للنزيف.

ارتسمت البسمة أخيرا على وجه معاذ، بينما أخذ الفيلسوف يربِت على كتفه بعدما اطمئنوا على إسراء، فإذا كان لهذا المرض علاج كما أخبرهم وليد فلابد وأن الدكتور حسن منير لن يغفل عنه، كلاهما تيقن أن إسراء الآن بخير،

TW. @Rabe3_elkotob

خاصـــة وأن هذه الواقعة قد مر عليها أكثر من ســـتة شـــهور، لكن وليد عاود الحديث من جديد قائلا بقلق:

كل ما أخبرتكم به أنا على يقين منه، ولكن الأمور لن تســـير بهذه الطريقة إذا كانت إسراء هذه قد تطور بصق الدم فيها إلى أمراض بالرئة أو القلب.

- حسنا، وما الفارق؟!

ســأل الفيلســوف بينما ظهرت علامات القلق من جديد على معاذ، وليد أجاب بثقة:

- سأقص عليكم حادثة قصها علينا طبيب مرموق بجامعتنا، أعيرونى سمعكم.

كان هناك شـــاب في أوائل الثلاثينات من عمره فى زيارة لأحد أقاربه في المستشفى، وعند توسطه من صالة المستشفى الرئيسية متوجها لبوابة الخروج، سقط فجأة مغشيا عليه دون أي مقدمات.

قام من حوله بمحاولة انعاشه، وقام موظفو المستشفى الموجودون في الصالة بالاتصـــال بفريق الانعاش القلبي الرئوي المناوب (code blue) وعندما تجمع الفريق الطبي وجدوا أن لديه تسارعا قلبيا بسرعة 250 نبضة في الدقيقة مع انخفاض في الضغط.

على الفور أعطوه عدة صـــدمات كهربائيه أشـــدها 360 جول حتى رجعت نبضات قلبه إلى طبيعتها، واسترد وعيه حيث لم تتجاوز مدة الإغماء والإنعاش الدقائق العشر.

أُدخل هذا الزائر الذي اصبح مريضا ب(Sudden cardiac death) إلى قسم العناية القلبية المركزة، وبدأ الطبيب يسأله عن تاريخه المرضي، وعند سؤاله

TW. @Rabe3_elkotob

عن عوامل الخطورة ذكر أنه لم يكن مدخنا، وليس لديه ارتفاع مزمن في الضغط أو الكوليسترول أو مرض السكري.

أما عند سؤاله: هل لديك أفراد من العائلة مصابون بأمراض في القلب؟

كان الجواب بوضوح: لا ...

خلال استطراده عن الأمراض السارية في عائلته ذكر أن أخاه الكبير توفي فجأة في ساحة منزله عند خروجه للعمل صباحا من دون أي مقدمات، ومن دون أي سبب واضح، وكان عمره في بداية الأربعينات، أما أخته الأكبر منه بعامين توفيت وهي تلاعب إحدى بناتها في حضنها وهي جالسة في صالة المنزل ومن دون مقدمات او سبب واضح، وكان الفاصل الزمني بين وفاة أخويه في حدود الثلاث سنوات.

عند فحصه بالأشعة الصوتية للقلب تبين أن لديه ضعفا شديدا في عضلة القلب، وعند إجراء فحص الأشعة المقطعية لشرايين القلب أوضحت أنه لم يكن لديه سدد في الشرايين يسبب ذلك الضعف في العضلة.

وفي تسجيل نبضات القلب لمدة أربع وعشرين ساعة تبين أن لديه اضطرابا بُطينيا وتسارعا متكررا في نبضات القلب، وبعد فحوصات أخرى مهمة في مثل حالته تم إعطاؤه العلاج اللازم لفترة معينة من الزمن، وبعد قياس أداء عضلة القلب على الأدوية كان التحسن ملحوظا، ولكنه لم يكن كافيا ليقفز حاجز الثلاثين بالمائة، بينما الطبيعي أن يتخطى حاجز الخمسة وخمسين بالمائة، ولذلك تم تركيب صاعق كهربائي للمريض، وقد تعامل هذا الجهاز مرتين في أوقات مختلفة عندما اختل انتظام نبضات قلبه أثناء نومه.

وقد تم تتبع أفراد العائلة، فوجِد أن لدى المريض أخوين آخرين لديهما ضعف في عضلة القلب، ووجد أن بعض أفراد العائلة في أجيال مختلفة كانت لديهم

TW. @Rabe3_elkotob

أعراض مختلفة من ضيق تنفس، وإغماء متكرر، وبعضهم توفي فجأة سواء في بيته او في مزرعته او في المسجد .

حسنا هذه القصة التى أخبرنا به الدكتور.

قالها وليد بعد أن رأى صمت معاذ ويوسف، كسر معاذ الصمت وسأل:

- إذن هذا الرجل فقد اثنين من إخوته بسبب مرض ضعف عضلة القلب، الذى يمكن أن ينتج عن نفث الدم؟!
- أجل، وهناك خمسة أنواع لقصورعضلة القلب، ولكل نوع منها أسباب معينة، وأهم أسباب قصور عضلة القلب التمددي هي: أمراض شرايين القلب، ارتفاع الضغط المزمن، أمراض صمامات القلب، الأمراض الوراثية لعضلة القلب وهي إلى حد ما وراثية، وتسير في عوائل معينة، وكذلك التهاب عضلة القلب في مثل بعض الالتهابات الفيروسية، أو تأثير الأدوية مثل بعض أدوية الأورام مثل مجموعة "الانثراسيكلين".

الأدهى من ذلك أنه من الممكن أن يكون لدى الإنسان ضعف شديد في عضلة القلب ولا يشعر به، بمعنى أنه ليس لديه أعراض فشل القلب؛ لأن الأعراض التي قد يشتكي منها المريض وبالذات ضيق التنفس، وانقطاع النوم الليلي، وانتفاخ الأرجل، تعتمد على متغيرات منها ازدياد "LVEDP" وهو يرمز إلى ضغط الدم في البطين الأيسر في نهاية فترة الانبساط، وهذا يسبب ارتفاع الضغط الوريدي في الرئة، وبالتالي تجمُّع السوائل فيها، وحدوث ضيق التنفس، ومن ثمّ الموت.

بوضوح أكثر، الخطورة من ضعف عضلة القلب تكمن في الموت المفاجئ، ومن دون مقدمات، خصوصا في من لديهم ضعف عضلة القلب اقل من ثلاثين بالمائة، وهي تقل كثيرا بعد استخدام الأدوية الحديثة، أو تحسين تروية القلب في من لديهم انسداد في الشرايين

TW. @Rabe3_elkotob

إما بالدعامات أو بعملية القلب المفتوح، وبالتطور الحديث للعلم من الممكن زراعة جهاز كهربائي "ICD" يتحكم بأي خلل في نبضات القلب.

ثم صمت لبرهة وأردف يطمأنهم :

- من المهم معرفة أنه ليس كل موت مفاجئ سببه ضعف عضلة القلب، كما أنه ليس كل ضعف في عضلة القلب يؤدي حتما إلى موت الفجأة، وكذلك لا يعني هذا أن الجهاز الكهربائي "ICD" يجب أن يكون في كل مريض لديه ضعف في عضلة القلب، حتى وإن كان الضعف شديدا فله دواعٍ طبية معينة، وله مضاعفات على المدى البعيد والقصير، ولذلك لابد من وزن المنافع والمضار في كل حال من قِبَل الطبيب المختص قبل تركيب الجهاز.
وأخيرا فإنه إذا جاءت المنية، ونشبت أظفارها لا ينفع جهاز صاعق ولا مساعد لعضلة القلب "LVAD" أو جهاز قلب صناعي "artificial heart"فالمحي والمميت هو الله سبحانه وحده، لكن هذا بالتأكيد لا يمنع أن يأخذ الإنسان بالأسباب.

تغيير وجه معاذ من جديد، وظهرت عليه علامات القلق من جديد، فقال يوسف يُطمئنه:

- لا تقلق عليها؛ فوالدها طبيب، ولن يغفل عن كل هذه الأشياء، الآن اذهب إلى قريتك واقض الأجازة واطمئن، ولتكمل تحقيق أهدافها.

لم يتكلم واتجه إلى محطة القطار مُحملاً بأثقال الدنيا،يُدرك تماما أن قلبه لن يطمئن عليها حتى يراها

****

TW. @Rabe3_elkotob

هذه المرة أخذ يفحص قريته جيدا، الأطفال كعادتهم يلعبون كرة القدم فى الطرقات ويزعجون المارة، والنساء ما زالت ملابسهن كما هى محتشمة فضفاضة، والدكاكين هنا ليس بينها ملهى ليلى أو منافذ لبيع الخمور.

لم يحدث بها أي تغيير كما كان يتوقع، تماما كما هى مُذ تركها قبل أربعة أشهر، هادئة ساكنة تعج بالمساحات الخضراء الواسعة.

على باب المنزل دق بجنون مناديا:

- يا شيخ عزالدين، يا شيخ عزالدين، لقد جئتك أخيرا.

أنتظر قليلا حتى سمع صوتا يناديه من خلفه قائلا:

- وهل تظن أن الشيخ عزالدين سيطيق انتظارك داخل المنزل، أنا هنا أيها المهمل

كان يُحدثه من بعيد، وصوته يقترب شيئا فشيئا مع اقترابه حتى التصق به واحتضنه معاذ بحرارة قائلا:

- اشتقت إليك كثيرا يا أبى.

قال والدموع تغزو عينيه:

- لقد طال الغياب وانتظرتك طويلا أيها المهمل، قل لى كيف حالك؟ وماذا فعلت فى دراستك؟ وكيف وجدت القاهرة؟ قل لى كل شيء، كل شيء.
- حسنا حسنا، سأحكى لك كل شيء، ولكنني جائع الآن، دعنا نأكل أولا؛ فلقد اشتقت إلى طعامك وحديثك كثيرا يا شيخ عزالدين.

****

TW. @Rabe3_elkotob

تناولا طعامهما وبدأ حديثهما، أخبره بكل شـيء حدث معه، حدثه كثيرا عن الفيلسـوف الذى هون عليه غربته، وعن تلك الصـداقة التى ارتقت إلى الأخوة، أخبره بكل شيء، كل شيء سـوى أمر تلك الحقيبة التى وجد فيها المذكرات، كان يتمنى مصـارحته لكن شـيئا ما كان يمنعه دائما، فضـل التريث بشـأن إسـراء قليلا.

رأى فى والده الحكمة ورجاحة العقل التى دفعته إلى سؤاله بغتة:

- أبي هل أنا شجاع ؟؟

رمقه الشيخ عز الدين بتعجب، ثم ابتسم له ابتسامة يساورها القلق قائلا:

- لماذا هذا السؤال أيها المهمل؟

تعثر بعض الشيء ثم قال مصطنعا الابتسام:

- لا شيء، ولكني أريد التحقق من هذا الأمر.

قال وهو يرتشف كوبا من الشاى أعده له معاذ:

- اسمع يا معاذ...

قاطعه معاذ وهو يفتح فمه مندهشا:

- معاذ!! ليست من عادتك أن تناديني بمعاذ، دائما ما تناديني بالمهمل.

قهقه ثم فرك شعره بيده يداعبه قائلا:

- نعم ولكن يبدو من طريقتك أنك على غير عادتك أيضـا، جاد فى حديثك.

اعتدل فى جلسته بعد أن ارتشف رشفة أخرى من كوب الشاى واستطرد:

TW. @Rabe3_elkotob

- لم تُظهِر ضـــعفا يوما، ولم تبدِ قوة أيضـــا، لكننى أذكر أنك لم تكن تخاف من هذا الرجل العجوز كباقى أبناء سنك.

اعتدل معاذ وقد أعجبه حديث والده، بينما يستطرد قائلا:

- لم أعهدك جبانا أبدا، إن فعلت قلت فعلت، وإن أخطأت اعتذرت، وإن ظُلمت يوما عفوت، إن كانت هذه هى الشـــجاعة فأنت شـــجاع، لكن...

تغير وجه معاذ وقتها وتعجل والده قائلا:

- لكن ماذا يا أبى، ها؟

أخذ نفسا من أعماقه ثم زفر وقال:

- لكنك كنت خجولا كل الوقت، أذكر جيدا ما كنت تفعله مع تلك الفتاة التى أحببتها منذ الصف الثالث الإبتدائي.

صـعقه بكلماته، لم يكن يتوقع أنه على علم بذلك، كان يظن بأنه وحده هو من يحتفظ بهذا السر، لكنه أتبع بالأدهى قائلا:

- عشـــر ســـنوات مضـــت على حبك لها يا معاذ، ولم تجرؤ يوما على الاعتراف بذلك، أرى هذا ضعفا منك.

شـعر بغصـة فى صـدره بينما أحمرَّ وجهه خجلا من والده إلا أنه اسـتجمع قواه وسـأله:

- بربك يا أبي من أين علمت بهذا الأمر؟ أنا لا أذكر أننى قد أخبرتك به من قبل!

عدّل من ياقته فى دلالة على إلمامه بكل شيء، ثم قال واثقا:

TW. @Rabe3_elkotob

- نعم لم تخبرنى ولكننى عرفت، أستطيع قراءتك من نظراتك.
- بربك أخبرنى من أين علمت بذلك؟
- أيها المهمل، ما زلت تحتفظ برسائلك التى لم ترسلها لها، وجدتها دون عمد فى أوراقك القديمة عندما كنت أبحث فى كتبك القديمة عن كتاب النحو للتأكد من مسألة نحوية.

أمسك برأسه ثم صاح قائلا:

- أجل تذكرت، تقصد هذا الكشكول الذى كتبتُ عليه "رسائل لم تصل".

أومأ برأسه يقرر قوله ثم قال بصوت خافت:

- أجل هو، ولكني أظن أنك قد أخطأت فى هذا العنوان أيضا، كان من الصائب أن تسميه" رسائل لم تُرسل"

أمام صمت معاذ استطرد الشيخ عز الدين بحزم:

- اسمع يا معاذ، لا تظن الشجاعة تكمن فى القدرة البدنية والعظمة الجسمانية، جل المتصفين بذلك لا يتحلون بالشجاعة، الشجاعة الحقيقية هى الجرأة.
أن تفعل ما تراه صوابا دون حساب للعواقب، أن تناصر الحق مهما كانت قوة الباطل، أن تنام آمنا لا تخشى غدرًا من غادر أو خيانة من خائن، تلك هى الشجاعة الحقيقية.

ثم قام من مكانه وتغيب للحظات ليعود وفى يديه هذا الكشكول و قال وهو يفتحه:

- دعنى أقرأ عليك اعترافك لنفسك بضعفك.

TW. @Rabe3_elkotob

خفّض من صوته وقال متأنيا وقد بدا مستمتعا:

"حبيبتى...اشـــتقت إليك كثيرا، فـأنـا لم أراكِ منـذ البـارحـة، إنـه حقـا لَغيـاب طويل...

أتعلمين! بالأمس وكعادتي ذهبت إلى منزلك عصــرا لأســترق البصــر إليكِ وقت اســـتيقاظك من نوم القيلولة، ما أجملك وقت الاســـتيقاظ، لعمري والله إن هذا لهو الجمال الحقيقي، تبدين كوردةٍ وقت الازدهار، كل الثياب تليق بك، فلا ترتدين ثوبا إلا وتُجمليه، ولا تتركين شـــيئا إلا وتقبحيه، القليل كثيرٌ بك، والكثير قليل بدونك يا جميلتي.

صوتك! بربك من أين أتيتِ به، فلا أكاد أسمعه حتى أسحر ويأخذني التيه.

ليتنى كنت كوب الشـاي هذا الذى ترتشـفينه، فكم أنا فى حاجة إلى القرب منك.

هذه هى المرة العاشـــرة بعد المائة التى أتردد فيها أن أبوح بحبي لكِ، ســـامحيني ولكني لست شجاعا بما يكفي لأفعل ذلك "

أغلق الكشكول ثم وضعه بجانبه قائلا:

- أرأيت ماذا قلت؟ " لســـت شـــجاعا بما يكفي لأفعل ذلك" ، عندما تســـتطيع فعل ذلك قد تكون شـــجاعا، لقد أجبت فى رســـالتك هذه على سؤالك لى، أنت لست شجاعا يا معاذ.

ثم نظر فى ساعة الحائط وقال وهو يقف من مكانه راحلاً:

- الوقت قد تأخر، اذهب إلى النوم فلابد وأنك مجهد من الســـفر أيها المهمل.

****

TW. @Rabe3_elkotob

لقد كان حديثه جريئا إلى أبعد حد، لم يكن معاذ يتوقع ذلك من والده، لقد بدا له وكأنه صديق له، ومع أنه قد كشف سرا من أسراره إلا أنه قد أزاح عنه ذلك الستار الذى كان يمنعه عن التحدث معه بشأن المذكرات وصاحبتها، لكنه فضل الانتظار مرة أخرى.

عليه الآن أن يبحث عن الشجاعة التى وصفها له والده، عليه أن يعترف لتلك الفتاة بحبه القديم لها، يذكر جيدا الوقت الذى قضاه فى التفكير بها، وصورتها التي لم تفارق مخيلته طوال العشر سنوات، لم يستطع نسيانها برغم أنه لم يعد يحبها الآن، لا يعرف لماذا تبخرت من قلبه منذ أن ظهرت إسراء فى حياته، لقد كان اسمها مريم، وقد كان عشقه لها طفولي طاهر، تماما كطهارة مريم بنت عمران.

وكعادته، إن عزم على شيء يفعله مهما كانت العواقب، الآن وبعد عشر سنوات سيعترف أخيرا بحبه لها، ولكنه تذكر أنه لا يعرف عنها شيئا منذ سنتين.

أخرج هاتفه من جيبه وطلب أحدهم، كان رقمه معنون باسم رامى الخبير

- أتعرف أنني بعد غيبتك هذه ظننت أنك قد حذفت أرقامنا أيها المهمل.

قالها رامى معاتبا معاذ بنكهة المزاح، فرد عليه معاذ مازحا أيضا:

- نعم حذفتها، ولكني أردتك فى أمر هام؛ فحصلت على رقمك من جديد وسأحذفها مرة أخرى.

قهقه رامى وقد أعجبته مزحة معاذ ثم قال وقد بدأ يميل إلى الجدية:

- قل لى ، ما الذى ذكرك بى أيها الإعلامى الشهير، توقعنا أنَّا لا نراك مرة أخرى إلا كمعجبين لك على التلفاز.

"مريم" قالها معاذ بحزم.

TW. @Rabe3_elkotob

- مازلت تذكرها يا معاذ؟! لم يعد من الجيد أن تفكر بها الآن.
- لماذا؟ قل ماذا حدث معها، وكيف هى، وأين أجدها؟
- سأخبرك بما أعرفه، ولكن أخبرني لماذا تسألنى أنا تحديدا؟
- أحقا لا تعرف؟؟ أنسيت أنك "رامى الخبير"، وهوايتك هى معرفة كل كبيرة وصغيرة عن الآخرين، أذكر عندما سألناك عن صديقتنا شيماء وقلت أنها...

قال يقاطعه:

- يكفي أرجوك، سأخبرك سأخبرك.

استلقى معاذ على سريره واستعد للاستماع، لم يكن يعلم أن رامى سيفاجئه عندما قال:

- " أم حبيبة " الآن ...

قاطعه معاذ وهو يصرخ فيه قائلا:

- رامى، أرجوك لا وقت للغباء، أنا أسألك الآن عن "مريم" صديقتنا فى المرحلة الإبتدائية وليس عن أم حبيبة تلك، أفِق أرجوك.

صرخ فيه رامى وقال بأعلى صوت لديه:

- أفق أنت أيها المهمل، لقد تزوجت مريم وهى الآن أم لطفلة تدعى حبيبة

شعر بخيبة أمل وقتها، ثم قال بصوت متحشرج:

- تزوجت!! مريم تزوجت !! منذ متى؟
- منذ عام، تزوجت شخص يدعى شريف، صيدلىٌ شاب يكبُرها بست سنوات، وتعلم جيدا أنها قد التحقت بكلية الصيدلة وشريف هذا بالنسبة لها زوج مناسب.

TW. @Rabe3_elkotob

- وهل وافقت هى؟
- بربك ولماذا ترفض؟ نحن نعلم جيدا يا معاذ أنك كنت تحبها كثيرا، ولكنك لم تجرؤ يوما على البوح لها بذلك، أنت لا شيء بالنسبة لها، ليس لعيب فيك سوى أنك لم ترد أن تصبح شيئا فى حياتها، فوالله لو أردتها ما ردتك أبدا.

صمت للحظات ثم استطرد يواسيه:

- لكن ما قد صار صار، فكر فى مستقبلك ودراستك.

قال بحزمٍ وتحدٍ شديدين:

- هى مستقبلي، قدم لى خدمة أخيرة وقل لى أين أجدها.
- يا معاذ لا يجوز لك الآن أن تـ..

قاطعه وهو يتوسل إليه:

- أرجوك.

أخذ نفسا من أعماقه ثم زفر قائلا:

- أعرف أنك عنيد جدا، وستعرف مكانها مني أو من غيري، ستجدها من الثامنة صباحا وحتى الرابعة عصرا فى صيدلية زوجها، اسمها صيدلية "الشريف" وتقع بالقرب من مسجد "الأنوار" بمدخل القرية الشرقي، بالطبع تعرفه جيدا.

شكره ثم ودعه وأنهى المكالمة ملقيا بالهاتف جانبه مسترخيا على سريره ليضاجع النوم، عندما يتألم لا يُجيد شيئا سوى الكتمان، هذه عادته التى ستقتله يوما.

****

TW. @Rabe3_elkotob

ما إن رآها حتى رق قلبه لها، هى كما هى مُنذ أن تركها، جميلة، هادئة، باسمة، يعتريها الخجل تماما كمعاذ، هى حبه القديم، والقديم لا يُنسى بأى جديد، لو لم يدق قلبه لها منذ عشر سنوات لكان قد فقد ثقته فى طفولته، فبئس الطفل ذلك الذى لا تفتنه مريم.

هى الآن أصبحت زوجة وأم، يكفيه أنها سعيدة، أما هو فقد جاء يعبر من خلالها إلى سعادته، وكم هو صعب أن تعترف بحبك لامرأة متزوجة.

عندما جاء كانت تبيع الدواء، وقف يتأملها للحظات ثم تقدم نحوها بخطىً مرتعشة عازما على مصارحتها، اقترب منها شيئا فشيئا ومع كل خطوة يخطوها نحوها كانت تتناقص شجاعته حتى إذا ما وصل إليها خرجت منه عفويا:

- السلام عليكم، "تلمسارتان"، هل أجده عندكم؟

بابتسامة روتينية عريضة لوَّحت برأسها قائلة:

- للأسف لا،هناك نقصٌ فى "تلمسارتان"،هناك نقص فى أدوية القلوب بشكل عام .

شكرها ثم انصرف مهرولا.

أمام الصيدلية وقف محاولا استيعاب ما حدث، لم يستطع النظر إليها أو الاعتراف لها أو حتى الحديث معها، ألهذا الحد هو جبان؟!

يعلم جيدا أنه إن رحل الآن دون أن يعترف لها بما جاء لأجله، فعليه أن ينسى أمر المذكرات وصاحبتها، إسراء طلبت الشجاعة وبما فعله الآن هو لا يستق الشجاعة ولا حتى إسراء.

راجع نفسه ثم عقد عزمه ودخل يعيد الكرة مرة أخرى، قال بارتباك:

- السلام عليكم.

TW. @Rabe3_elkotob

استشعرت مريم ريبة فى الأمر هذه المرة، لكنها تماسكت متباسمة:

- وعليكم السلام، كيف يمكننى مساعدتك؟

مسته سِنةٌ من الجرأة هذه المرة، فقال على استحياء:

- أنتِ " مريم جلال " أليس كذلك؟

مع دهشتها وتملقها له تابع هو بجرأة أكثر:

- وُلدتى فى الثالث من مايو عام 1995، تسكنين بالقرب من مخبز القرية، يعمل والدك محاسبا بأحد البنوك، قضيتي المرحلة الإبتدائية بمعهد "الفضيلة الإبتدائي"، تُجيدين اللغة الإنجليزية وتعشقين الفرنسية، واسم صديقتك المفضلة " هند "

رمقته بحيرة وتعجب، بينما أخذ هو فى محاصرتها بحديثه كمن يُوقع بفريسته:

- تكرهين كثيرًا أصوات "الغسالات" ومزمار السيارات، كما أنه قد يُغشى عليكِ من رائحة الكبريت، تُحبين" الكابتشينو" وتُداومين على شربه فى نافذة غرفتك خاصة وقتي الشروق والغروب، وتملكين قطة صغيرة أطلقتي عليها "جُومى"

هذه المرة لم تتمالك نفسها، فصرخت فيه :

- بربك من أنت ؟!

لم يلتفت لغضبتها وأردف كما لو كان يقرأ لها الفنجان:

- أثناء المرحلة الإبتدائية تاهفت الذكور من أبناء صفك على حبك، وتباروا على الفوز بقلبك لكنك لم تلتفتى يوما لمثل هذه التفاهات - كما كنتى تقولين - بل وشكيتي للمعلمين بعضا ممن تجرأوا وصارحوكي بذلك، وبقيتي كما أنتِ، مريم المرغوبة من الجميع.

TW. @Rabe3_elkotob

قالت تستجديه:

- بالله عليك أرحني، من أنت؟

أكتفي بذلك، ثم قال وهو يبدأ فى كشفِ أوراقه:

- حسنا، يكفى، والآن ألا تتذكرينى؟

صمتت لبرهة وهى تتملقه فى محاولة لتذكره، ثم ردت تخزيه:

- لا، أنا بالأساس لا أعرفك.

قال ملوحًا بيده:

- لا لا، بل تعرفينني حاولى ثانية.

ردت بحذم وإصرارٍ شديدين:

- صدقني لا أعرفك، من أنت؟!

هنا اقترب منها وقال خافتا صوته:

- أنا كنت منهم، أحد الذكور المتهافتين عليكِ من أبناء صفك.

ابتعدت عنه ثم قالت بتحدٍ:

- ولكننى حقا لا أعرفك.

استفزه الأمر فصاح غاضبا:

- لا بل تعرفيننى لكنكِ ربما لا تذكريني.

ابتسمت ساخرةً :

- حقا؟ وما الفارق؟

ثم أردفت وكأنها التفتت لذلك للتو:

TW. @Rabe3_elkotob

- ثم إنك كيف عرفت عنى كل هذه الأشياء؟

شـــعر معـاذ أنه قـد بـالغ فى الأمر، وأن مـا جـاء من أجلـه لا يســتحق كل هـذه المراوغـات، خاصـةً وأن مريم الآن متزوجة وقد يحضـر زوجها فى أى وقت، قـال ينهي الأمر:

- حسنا، أنا معاذ، معاذ عزالدين.

ردت تصدمه:

- ومن يكون معاذ عزالدين، لا أذكُرك.

قال باسما:

- الآن تغير الأمر وأصـبحتى لا تذكرينى بعـد أن كنتِ من الأســاس لا تعرفيني.

قالت تخزيه:

- أعرف فقط الشـيخ عزالدين، فهو إمام المسـجد وخطيب القرية، ولا أعرف ولده.

ثم أردفت متغاضيةً عن اسمه:

- اســمع، ليس لدى وقت، قل لى كيف عرفت عني كل هذه الأشــياء ثم ارحل؟

زفر ثم قال بشاعريةٍ كما لو كان واقفا أمام النيل:

- أســمعتي عن الحب؟! هنـاك من أتقن معـكِ الحب، أحب فيكِ كل شـيء ولم يكره يوما منكِ شـيئا، أخلص لكِ إلى الحد الذى جعله يرى فيكِ كل نسـاء العالم، ويرى نسـاء العالم كأنهن أنتِ، راقبك بصـمت،

TW. @Rabe3_elkotob

أحبك بصـــمت، وتابع أدق تفاصـــيلك حتى أنه علم عنك أشـــياء لا تعلمها أنتِ عن نفسك.

أطرقت مريم لحديثه بينما تابع هو بشاعرية أكثر:

- الســعادة عنده كانت أنتِ، ابتســامتك كانت ســر انشــغاله عن النوم ليلا، وحيداً كان يجلس ويتســـائل: من يا تُرى بات أســـعد منه هذا المساء؟

حديثُه أصمتها لكنها نطقت:

- لكن لماذا؟ لماذا كلُ ذلك؟
- لماذا!! أعيادُ العاشـقين تكون كلما رأو من يعشـقونهم، وهو كان يراكِ كل صباح ومساء، أوليس جعلك لكل أيامه عيدا سببا كى يعشقك؟
- أين هو الآن؟
- ثمة فتاة غيرك فى حياته الآن، جاء يعترف لك بحبه من أجلها.
- لا أفهم ماذا تقصد؟
- ماذا تقولين فى رجلٍ جاء يعترف بحبه لك بعد عشـــر ســـنوات رُغم علمه بإنك متزوجة؟
- بالطبع وقِح.
- أنا معاذ عزالدين، ذلك الطفل الذى أحبك طيلة عشـــر ســـنوات مضت، شبَّ على حبك وكنتِ مصدر سعادته لسنين مضت ، ثم...

قالت متلهفة:

- ثم ماذا يا معاذ؟

ابتسم انتصارا:

- تذكرتينى؟

TW. @Rabe3_elkotob

- لم أنساك.
- إذن لماذا لم تعرفيننى فى بادئ الأمر؟
- لا أعرف اســمك، لم تُخبرني به، أذكُر ذلك الطفل الخجول الذى كان يتلصص علىَّ طوال الوقت، أكان أنت؟!
- أشعرتِ به!
- نعم، الجميعُ شعر به، لكنى لم أكترث له.
- لماذا يا مريم؟
- كان جبانا إلى أبعد حد، والمرأة لا يمكن أن تقع بحب رجلٍ جبان.
- والآن !
- والآن ماذا؟!
- أما زال جبانا بعينيك!
- قل أولا ماذا يعنى اعترافك لى بحبك الآن، لماذا الآن؟

لم يجد معاذ بدًا من إخبارها بكل شيء، حدثها عن المذكرات وصاحبتها، حدثها عن الحب وكيف يغير المرء، ثم سألها بغتة:

- مريم .. هل أنتِ سعيدة مع زوجك؟!

أجابت بارتباك:

- نعم، ولذلك يجب أن ترحل الآن قبل أن يأتي ويراك.

ولى راحلا، لم يحصل بعد على شهادة مريم بشجاعته، ولا يمكنه الرحيل دون هذه الشهادة، عليه أن يحاول مجددا من أجل إسراء.

بعد أن خطا خطوتين راحلا أعادهما نحو مريم مقدما، كانت ما زالت تنظر إليه، قال واثقا:

- متى يأتى زوجك؟

TW. @Rabe3_elkotob

قالت بقلق :

- دقائق ويأتى

ارتخى على أحد المقاعد ثم قال بتحدٍ:

- إذاً أنتظره.

ردت باندهاش:

- تنتظره! لماذا؟
- لأخبره بأنى كنت أحب زوجته؟
- أمجنون أنت؟
- خسرتك قبل سنوات بسبب جُبني، والآن إن لم أكن شجاعا فسأخسر إسراء أيضا، وخسارة الرجل لامرأتين أمرٌ مخزٍ.

قالت تُغير مسار الحديث:

- قل لى أولا، كيف تمنع نفسك عن إسراء هذه وأنت تحبها كل هذا الحب، تحبها لدرجة أنك جئت تعترف بحبك القديم لأجلها.

قال واثقا:

- حب... أو عشق مثلًا

قالت تُثلج صدره:

- بل شجاعة .. نعم أنت شجاع، أن تمنع نفسك عن شخص تحبه فهذه شجاعة لا تتوافر فى الكثيرين، أما عن اعترافك لى بالحب لأجلها فهذا أمرٌ آخر، كيف لم تستطع أن تفعلها أنفا من أجلك وتفعلها الآن من أجل حبيبتك!!
- أوجادة أنتِ؟

TW. @Rabe3_elkotob

تابعت متغاضية :

- تنتظر زوجي لتخبره بأنك تُحب زوجته مدركا نتيجة تلك الفعلة فقط من أجلها! شجاعة...

معاذ كرر استفهامه مستغيثا:

- مريم بربك هل أنتِ جادة؟
- ارجع إليها يا معاذ، سِـــر فى طريقك حتى تصـــل لها، وعندما تصـــل أخبرها بأن القدر جعل مريم لا تأبه بمعاذ لأجلك، فحافظي عليه.

قبل أن ينطق بكلمة فُتح باب الصـــيدلية ليدخل أحدهم، من حديثه مع مريم أدرك معاذ أنه زوجها فلم يجد بدًا من الإنسحاب بصمت.

عندما خرج معاذ سأل الرجل مريم:

- ماذا به؟

أجابته بتيهٍ غاصت به:

- كان متعبًا جدا، أعطيته بعض الدواء فاستراح.

فى هذه الأثناء على حائط مجاورٍ للصيدلية خط معاذ " الشرط الثانى "

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

من الطبيعي تماما أن يزن قلب الرجل أربعة كيلوهات ونصف، بينما يزن قلب المرأة ثلاثة كيلوهات ونصف، أنّى للمرأة بقلب كقلب الرجل، يمكنه أن يساع الكثير من النساء بينما قلب المرأة لا يكفي سوى رجل واحد !

TW. @Rabe3_elkotob

(5)

رحلة التثقيف

فى بداية فصله الدراسي الثاني، ومتسلحًا بالتزامه وشجاعته، بدأ رحلته نحو التثقيف، يبدو الأمر فى ظاهره سهلا عليه، لكنه فى حقيقته صعب، صعبٌ جدا.

"معاذ عزالدين" ، ذلك الشاب الذى لم يقرأ كتابا قط، حتى الكتب الدراسية لم يستفد منها يوما، مثله مثل جميع الطلاب، يقرأون ليُسألوا لا ليفهموا أو يتثقفوا.

ولماذا يتثقفون وهم يتخرجون ليعملوا بما لا يدرسون!!

يقضي الطالب منهم اثني عشر عاما فى التعليم ما قبل الجامعى، وأربعة غيرهم فى التعليم الجامعى، ثم يتخرج ليعمل مدرسا فى المرحلة الإبتدائية، يُعلم الطلاب حروف الهجاء، بربك أيتها المنظومة التعليمية من أين أتيتِ لنا بهذا المنهاج!!

معاذ سيعاني كثيرا هذا المرة، كثيرا جدا، فهو لا يعلم من أين يحصد الثقافة، وكيف له أن يعلم بأنه قد بات مثقفا، هو بالأساس لا يعلم ما هى الثقافة! هناك خطوة من البديهي أن يخطوها أولا، سيبدأ بها رحلته التثقيفية.

TW. @Rabe3_elkotob

فى مكتبة الجامعة وقف يفحص الكتب بحرص، إن أعجبه العنوان اقتنى الكتاب، وإن لم يعجبه تركه، أسفر له ذلك عن خمسة كتب فى مختلف العلوم، عاد بهم إلى البيت ظنًا منه بأن التثقيف سيكون عندما يُفرّغ ما فى هذه الكتب برأسه.

بدأ بذلك الكتاب الذى جذبه عنوانه ومؤلفه ورشحه له أمين المكتبة " طوق الحمامة فى الألفة والألاف" لابن حزم الأندلسي.

عندما وقف أمامه يستكشفه قال له أمين المكتبة يحفزه:

- إن هذا الكتاب هو أدق ما كتب العرب فى الحب ومظاهره وأسبابه، وقد تمت ترجمته إلى عدة لغات، ويحوي مجموعة كبيرة من أخبار وأشعار وقصص المحبين.

ثم أردف مفصلا ما أجمله:

- يتناول الكتاب بالبحث والدَّرس عاطفة الحب الإنسانية على قاعدة تعتمد على شيء من التحليل النفسي من خلال الملاحظة والتجربة.

ثم اختتم مشوقا معاذ:

- الكتاب يُعد عملا فريدًا في بابه، صدقني لن تندم أبدا على اقتنائه.

الآن الكتاب بين يدى معاذ، يقلب بين صفحاته المتآكلة بحرص، استوقفته تلك الجملة التى بدأ بها الكاتب مخطوطه، والتى أثلجت قلب معاذ:

- " الحب - أعزك الله - أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن أن تُوصَف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله"

TW. @Rabe3_elkotob

كرر فى نفســه هذه الجملة -غير مرة -" ليس بمنكر فى الديانة ولا بمحظور فى الشريعة"

ثم تمتم بها إلى أن وجد نفسه ينتفض من مكانه صارخا بها:

- " أيها الناس، الحب ليس بمنكر فى الديانة ولا بمحظور فى الشريعة"

"إذ القلوب بيد الله" .. أمرٌ آخر كان معاذ فى حاجة لمعرفته، الحب قدرٌ وليس اصــطفاء، والله وحده من يوزع الحب على قلوب المتحابين، ويؤلف بين كل قلبين قُدِّر لهما الحب فى لله.

تابع القراءة وقد انفتحت شهيته لها، اســتوقفته أسـطرٌ كثيرة قام بتدوينها فى مدونته الخاصة، كان أهم ما دونه:

- "ومن بعض صــفات الحب الكتمان باللســان، وجحود المحب إن سُــئل، والتصــنع بإظهار الصــبر، ويأبى الســر الدقيق، ونار الكلف المتأججة في الضلوع، إلا ظهورا في الحركات والعين"

ولأنه لم يكن يقرأ للاستمتاع فقط بل كان الهدف الرئيسى هو التثقيف، بعد أن انتهى من القراءة قام باســتخلاص محتوى المخطوط، عن ماذا يتحدث وهل وصــلت الرســالة أم لا؟ حتى أنه أعطى لنفســه حق الانتقاد، فعلق على المخطوط على صفحته بموقع"الجودريدز" قائلا:

- الكتاب فى مجمله رائعٌ جدا، لكن ما ورد فيه ليس علما يُؤخذ به، بل محضُ تجارب وآراء لكاتبه، لقد قال مثلا فى أحد أسطره:
- "إني لأطيل العجب من كل من يدعي أنه يحب من نظرة واحدة، ولا أكاد أصدقه ولا أجعل حبه إلا ضربا من الشهوة"

وأكد هذا المعنى مرة أخرى فى قوله:

TW. @Rabe3_elkotob

- " من أحب من نظرة واحدة، وأسـرع العلاقة من لمحة خاطرة فهو دليل على قلة البصر، ومخبر بسرعة السل، وشاهد الظرافة والملل، وهكذا في جميع الأشياء أسرعها نموا أسرعها فناء، وأبطؤها حدوثا أبطؤها نفادا"

حسنا أنا أختلف معه فى هذا الأمر، فها هو يناقض نفسه بنفسه، لأنه قال فى باديء الأمر:

- "إذ القلوب بيد الله"

وذلك يعني أن مالك القلوب يمكن أن يقذف الحب فى قلوب المتحابين من نظرة واحدة، صدقني حتى بدون تلك النظرة يمكن أن يقعا فى الحب، لكن فى المجمل أنت وكتابك رائعان يا سيدي.

****

ومن كتاب ابن حزم الأندلسي إلى الأندلس ذاتها، حيث لم يمنح معاذ لنفسه قسطا من الراحة فى رحلة القراءة تلك وبدأ فور انتهاءه من" طوق الحمامة للأندلسي" فى الأندلس، من الفتح إلى السقوط للسرجاني"

معاذ كالكثيرين غيره من المسلمين، انتابته نشوة رائعة عند قراءته عن الأندلس، هى معشوق المسلمين بعد القدس، فالجيوش التى ستفتح القدس ستتوجه بعدها مباشرة نحو الأندلس.

بلغ الإسلام ذروة مجده عندما كانت الأندلس فى قبضته، وعندما انفلتت من المسلمين بدأت عصورهم المظلمة.

"التاريخ الأسود" يبدأ التأريخ منذ اللحظة التى نهرت فيها أم عبد الله ولدها قائلة: " اليوم تبكي كالنساء على ملك لم تحفظه كالرجال"، عبدالله – وكذلك نحن - لم يكف كلانا عن البكاء حتى الآن.

TW. @Rabe3_elkotob

عندما غاص معاذ فى القراءة وجد نفسه دون عمد يغوص فى البكاء، سقوط الأندلس جزءًا يتلو الآخر كان يصاحبه سقوط الدمع من عيني معاذ.

السرجاني كان قاسيا جدا على معاذ، لقد جعل من كتابه شاشة عرضٍ، استطاع معاذ من خلالها رؤية الأندلس الحزين، القراءة عن السقوط أمرٌ مخزٍ، والكتابة عنه أمرٌ منهك، معاذ أشفق كثيرا على السرجاني، ثم دخل على صفحته بال"جود ريدز" وكتب:

"شكرا، سامحك الله"

تركه منهكا وأمسك بكتابٍ آخر، كان يتحدث عن الطب، عندما رآه معاذ فى المكتبة اقتناه دون تردد، فبينما كان واقفا يطالعه لمعت فى رأسه فكرة أن تسأله إسراء -وهى طبيبة- عن أمرٍ فى الطب، قرر أن يتجهز لذلك الأمر من الآن.

بعدما قرأ الكتاب أدرك جيدا ما يعانيه طالب الطب، وأشفق كثيرا على إسراء، أضاف إلى جعبته الكثير من المعلومات التى لم يكن يعرفها عن نفسه.

لم يكن معاذ يعلم أن قلبه يدق أكثر من مائة ألف دقة يوميا، قال فى قرارة نفسه أنه لابد أن يكون هذا الرقم قد تضاعف بعدما عثر على إسراء، علم أيضا أنه فى نهاية الحياة سيكون رصيده من دقات القلوب قد تجاوز البليونين والنصف دقة!!

أصابته الدهشة عندما علم أن جسده يضخ أكثر من ثمانية وأربعين مليون جالون من الدماء فى حياته، لم يكن يتخيل أن بإمكانه منفردا أن يصنع بحيرة من الدماء.

الأمر الوحيد الذى لم يتعجب له معاذ هو وزن القلوب، من الطبيعي تماما أن يزن قلب الرجل أربعة كيلوهات ونصف، بينما يزن قلب المرأة ثلاثة كيلوهات ونصف، أنى للمرأة بقلب كقلب الرجل يمكنه أن يساع الكثير من النساء بينما قلب المرأة لا يكفي سوى رجل واحد.

TW. @Rabe3_elkotob

القلب ليس على اليسار كما نظن، معلومة أخرى صُدم منها معاذ، الصحيح أن القلب يقع فى منتصف الصدر بين الرئتين، وينحرف قليلا نحو اليسار، لذلك يظن البعض أنه يقع فى اليسار، على العشاق تحديدا أن يتبينوا من هذا الأمر كي لا يتكرر هذا الخطأ.

القراءة فى مختلف المجالات أمرٌ رائع، لكن أن تظل تقرأ لأكثر من ثمانِ ساعات فهذا أمرٌ ممل، معاذ يمكنه أن يمل من أى شيء قام بكتابته بشري، عدا إسراء، لذا سيقرأ فى مذكراتها بعضا مما دونته، لم يفعل ذلك منذ فترة طويلة، لكنه فى حاجة إلى ذلك الآن.

فى الصفحة التالية لِما وقف عنده فى المرة السابقة كتبت إسراء:

****

2013 \ 7\ 15

التاسعة صباحا

بالأمس أعلنوا عن ظهورها خلال ساعات، ولم تظهر حتى الآن، تبا لهم ولتلاعبهم بأعصابنا، ليت عقارب ساعتنا السلحفاة تتخلى عن هذا الزحف البطيء وتنطلق نحو العاشرة؛ حتى تظهر كما قالوا.

اللهم إنى قد أبليت ما أبليت طيلة اثنتي عشرة سنة مضوا، اللهم لا تمنحني قدر ما أبليت، واعطنى بقدر رحمتك بي يا أرحم الراحمين.

الآن سأصلى ركعتين، وأدعو الله فيهما أن يرزقني الفرحة هذا اليوم.

سحقا لهم ألف مرة على تأخرهم ..

****

TW. @Rabe3_elkotob

معاذ لم يفهم الحديث من المرة الأولى، ولم يدرك سريعا ما تعنيه إسراء، لكنه تفهم كل شيء عندما دقق فى التاريخ المذكور أعلاه، فهذا اليوم لا يمكن لأي طالب ثانوية بعمر معاذ وإسراء نسيانه، إنه يوم إعلان نتيجة الثانوية الأزهرية.

يتذكر هذا اليوم جيدا، حقا لقد كان يوما شاقا بكل ما تعنيه الكلمة من معانٍ، فقد مر على معاذ بالبطء ذاته الذى مر بإسراء، لكن الفارق بينهما أن اسراء كانت تخشى الا تلتحق بكلية الطب، أما معاذ فجُلُّ ما كان يتمناه هو النجاح، وألا يلحق العار بوالده عز الدين.

عندما أخبروه أن النتيجة متاحة الآن عبر "الإنترنت"، ارتبك قلبه لدرجة أنه لم يعد قادرا على تنظيم نبضاته، وتسمَّرت قدماه وبدأ فى الارتعاش.

اقترض من والده خمسين قرشا دون أن يخبره بما يود فعله بهم، ثم انطلق إلى أقرب صالة للحاسبات، واستأجر حاسوبا لمدة عشرين دقيقة.

فى البداية وحتى يُهدأ من روعه أدخل أرقام جلوس أصدقائه يستبشر بهم، كان الوعيد حين وجد جل أصدقائه بجانبهم كلمة"دور ثان"، من سبقه ومن تلاه راسبون، والناجح منهم لم يتجاوز مجموعه الستين بالمائة.

لم يجد بُدا من إدخال رقم الجلوس الخاص به، كتبه ببطء، ثم نقر وهو يدير ظهره للشاشة ضاربا موعدا مع الفرحة أو الحزن أثناء الالتفاتة الثانية، استدار بوجل ليقرأ:

معاذ عزالدين

الغربية

32345

معهد دلجمون الثانوي بنين

TW. @Rabe3_elkotob

ناجح

المجموع 489

أعاد القراءة مرة أخرى متشككا، ثم مرة أخرى متثبتا، ثم انطلق من الفرحة صارخا.

هذه اللحظات التى لم يُعيرها أي اهتمام وقتها، إسراء ذكرته بها، جعلته يبتسم عندما تذكر فرحة الشيخ عزالدين بنجاحه، وأكياس الحلوى التى وزعها على جيرانه، والمباركات التي حصل عليها من الجميع.

حقا إن تذكر الأشياء الجميلة أمرٌ جميل، عندما نفعل الأشياء لأول مرة لا نملك الوقت الكافي للاستشعار بجمالها، لكن الذاكرة تتكفل بذلك، جرب أن تجلس وحيدا وتتذكر لحظة جميلة مررت بها، مهما كانت هذه اللحظة فستسعد بها أكثر من سعادتك وقت حدوثها.

الآن هو فى شغف إلى معرفة كيف مرت هذه اللحظات على إسراء، فتح المذكرات واستكمل القراءة من حيث انتهى.

****

العاشرة والنصف مساء

منذ عشر دقائق حين كنتُ فى معية القلق لم أُعِر أيا من البشر اهتماما، حين أكدوا ظهورها استأثر أبى بكل اهتمامي، نظراته لي وابتسامته التى كان يصطنعها من وراء قلقه تكفلا بكل شيء، يجب أن أفعلها؛ لأجله.

ذهبتُ إلى صديقتى شيماء، قلت لها بارتباك:

- سأنتظرك أسفل منزلك، بينما ستجلبين أنتِ نتيجتي وتكتبينها فى ورقة، وتقذفينها لي من النافذة دون أن تتحدثي معي.

TW. @Rabe3_elkotob

ثم كررت أحذرها:

- دون أن تتحدثي معي يا شيماء.

ضحكت ساخرة ثم هتفت قائلة:

- فكرة مجنونة كصاحبتها، ولكن لنفعلها.

وانتظرت أسفل منزلها يقتلني القلق.

مرور البشـــر أمامى تزامن مع مرور الذكريات والنظرات برأســي، الإبتدائية، الإعدادية، الثانوية، لحظات الفرحة ولحظات الحزن، نظرات أبي، توســلات أمي، شماتة صديقاتي.

ثم قذفتْ شيماءُ الورقة.

هممت بفتحها بينما بدأ هاتفي فى الاهتزاز، كان أبي.

تُرى أقتله الانتظار مثلي؟

بصوت متحشرج قلت مستبِقة الحديث:

أبى لم أجلبها بعد.

قال بصوت فرِح:

ولكني جلبتها لكِ.

ثم صمت للحظات وتابع:

أيتها الطبيبة.

ما إن سمعتها حتى فتحت الورقة لأرى ما بها "تسعة وتسعون بالمائة"

لم أتمالك نفســي وقتها، فركضــت نحو المنزل خارقة حيائي، كان أبى ينتظرني أسـفل المنزل، احتنضـته لدقائق ثم اسـترقت السـمع لنحيبه،لقد كان يبكى من الفرحة!!

TW. @Rabe3_elkotob

بعد أن رأيت كل هذا جلست وحيدة أتساءل فى نفسي:

أكان من الممكن أن أخذل أبي؟!

****

قدماه من فرط الجلوس ملّا وطلبا منه التحرك فانصاع لهما، خرج يتجول ربما يرضيان عنه،ويطاوعانه عندما يعاود الجلوس بعد دقائق، فلا شيء يفعله سوى القراءة، إن لم تكن كتبه الدراسية فمذكرات إسراء، والآن هو يقرأ أكثر لينفذ ما أمرت به صاحبة المذكرات.

ظن التثقيف يكمُن فى القراءة فقط، قدماه ارتأيا غير ذلك وحملاه رغما عنه حتى يخرج ويُبرهنا على خطأه.

استكمالا لتحكمهما به، وجد نفسه بلا أية أسباب يركب أحد "أتوبيسات" النقل العام، كان يحمل الرقم (186)، طريقهُ -الذى لا علم لمعاذ به - يُجبره على المرور من أمام أحد أكبر المعاقل الثقافية بالقاهرة الكبرى.

على مسمعٍ منه قال أحدهم يخاطب مجاوره:

أما زال هناك الكثير من الوقت؟

ابتسم رفيقه فى وجهه يطمئنه قائلا:

- لا بل اقتربنا، نحن الآن بحي الزمالك، وهي تقبع فيه، تفصلنا عنه محطة واحدة.

أطرق الآخر فرحا ثم همس لصديقه بقدرٍ لم يمنع معاذ من الاستماع له:

أتعلم؟ كُنت -ولا أزال - أطوق لرؤية هذا الصرح الكبير من فرط ما سمعت عنه، يقولون أنه الصرح الثقافى الأول بمصر.

TW. @Rabe3_elkotob

إلى هنا لم يكن هناك ما يجذب معاذ للحديث، فقط كان مجبرا على سماعهما لقربهما منه، لكنه انتبه عندما سمع رد الآخر وهو يقول:

- أجل، فهناك يجتمع كلُ مثقفي مصر، يمكنك القول أنهم يسقونك الثقافة سقيا.

هنا تدخل معاذ بحمقٍ:

- عن أي مكان تتحدثان؟!

تبادلا النظرات وقبل أن يجيبا عليه جاءهما صوت "الكمثري"؛ لينتفضا من مكانهما وينزلا دون رد خشية أن تتحرك الحافلة قبل نزولهما، وهنا أيضا تدخلت أقدام معاذ للمرة الثالثة لتحمله حملا وتجبره على النزول خلفهما.

لقد قال " الكمثري" قبل لحظات:

- على من يريد "ساقية الصاوي" الاستعداد للنزول، فقد وصلنا.

****

دخل خلفهما يستكشف ما كان يتحدث عنه صاحبا الحافلة، فى ذهنه تساؤلات كثيرة أولها مكان ذلك الصرح، أيمكن أن يكون معقلا ثقافيا كبيرا تحت أحد الكباري!

ساقية!! مسمى لم يفهمه معاذ بعدُ.

تعمق داخلها أكثر حتى وجد نفسه فى أحد قاعاتها، جلس يستريح على يسار الصف الأول بينما قال أحدهم:

- والآن اسمحوا لي أن نبدأ المناقشة.

ثم نظر إلى أحد ضيوف الحفل قائلا:

- حسنا، الكلمة معك يا سيدي، خمس دقائق لا تُزد منعا للإطالة، ونظرا لضيق الوقت.

TW. @Rabe3_elkotob

قام الضيف وشكر الحضور ثم قال:

- سأدخل فى موضوع المناقشة مباشرةً، جميعكم تعلمون أننا بصدد الحديث عن دور الدولة فى تثقيف المجتمع، الدولة تُرخِص المقاهي والملاهي الليلية بيسر لا تنتهجه مع السواقي والأصرح الثقافية حتى تجاوز التافهون فى وطننا تعداد المثقفين، والآن نريد من الجميع أن يضع حلولا وخططا لمواجهة تلك الكارثة، وسنبدأ من اليمين إلى اليسار.

قام أحدهم وعرّف بنفسه ثم قال:

- أود أن أشكركم على السماح لي بالحديث، بينما لا تسمح لي الدولة بأي شيء، علينا أن ننتهج نهجا آخر غير الذى تنتهجه المنظومة الثقافية فى مصر، لا شيء يدعو للتفاؤل بمؤسساتنا الثقافية، وشبابنا -رُغما عنه- ينتهج طريق الانحراف.

ثم جلس وقام من تلاه وأدلى بدلوه، الجميع يتحدث ومعاذ يستمع ويعدد نفسه ضمن الشباب الذين غابوا عن المشهد الثقافى وصاروا ضحايا للدولة، ثم جاء دوره بغتة!!

لم يكن يتوقع أنه سيتحدث فى أمرٍ كهذا أمام جمعٍ كهذا، من يبحث عن الثقافة من أجلِ حبيبته مُطالبٌ الآن أن يضع خططا لتثقيف الشباب أمام كل هذا التعداد من المثقفين!!

أمام نظراتهم له قام مرغماً ثم قال يُعرف نفسه:

- السلام عليكم ، اسمي معاذ، معاذ عزالدين، أدرس فى كلية الإعلام، فى الواقع أنا على خلافكم جميعا أجلس بينكم الآن صدفة، حتى أننى لم أعرف موضوع المناقشة سوى من السيد المحترم.

ثم أشار بيده لمقدم الندوة وتابع بعد أن أخفضها:

TW. @Rabe3_elkotob

- لكننى أولا أود أن أطرح عليكم جميعا سؤالا قد يُنعَتُ صاحبه بالأبله أو الأحمق.

تسلل الهمس بين الحضور وبدأت المحادثات الجانبية لكن معاذ تابع:

- هل أنتم جميعا مثقفون؟!

تحول الهمس إلى همهمة، وردد الجميع على انقطاع:

- نعم .. بالطبع .. بالتأكيد .. أجل.

تابع معاذ وقد نُزعت منه الرهبة وبدأ فى تقمص دور المحاضر:

- رائع ، وهل كل من يتردد على هذا المكان يُعدُ مثقفا؟!
- أجل بالتأكيد.

قالها أحد الحضورعفويا، فتابع معاذ:

- رائع، وهل هذا الصرحُ الثقافي تابعٌ للدولة؟!

عمّ الصمت فأدرك معاذ أنهم قد أدركوا ما يعنيه، فتابع مؤكدا:

- أثناء دراستي فى الثانوية الأزهرية قرأتُ فى كتاب التاريخ الحديث، أنه قبل قرنٍ من الآن، وقبل أن تُنشأ وزارة الثقافة، أو تُشكل الحكومات من الأساس امتلأت مصر بالصالونات الثقافية والمثقفين، أذكر منهم مصطفى كامل ومحمد فريد، والسؤال الآن: هل الدولة مسئولةٌ عن التدهور الثقافي؟

بالطبع نعم، ولكن هل تقع علينا نحنُ أيضا المسئولية؟ الإجابة هى: أجل بالتأكيد، بل ومسئوليتنا أكبر من الدولة، أيها المثقفون إن الثقافة كالطعام إذا كنت تتضور جوعا فستفعل ما استحال لتحصل على ما يرد جوعك دون انتظارٍ لدولة أو قانون، وكذلك الثقافة، إذا كانت لديك رغبة حقيقية فى التثقيف فافعل ما استُحل لتصل لذلك دون انتظارٍ لدولة أو قانون.

TW. @Rabe3_elkotob

رُجت القاعة بالتصـفيق، الحضـور جميعهم أُعجبوا بمعاذ وحديثه، صـمت للحظات ثم أردف:

- ها أنا ذا بينكم فى يومي الثقافي الأول، الحب دفعنى للتثقيف والقَدَرُ قادني إلى هنا لأكتشـف صدفةً أنه ما زال فى مصر من يجلس ويجتمع ويتحزب لأجل الثقافة ومسـتقبلها فى وطنه، حقا إننى فخورٌ بأنى قد أصبحتُ واحدا منكم، أليس كذلك؟!

همهم الحضور:

- أجل ..بالتأكيد.

من بينهم ميزّ معاذ صوت أحدهم وهو يقول:

- حقا إنه مثالٌ للشاب المثقف، ليت ولدي مثله.

وسـط نشـوة لم يشـعر بها قبل ذلك، غادر معاذ السـاقية مبتسـما للجميع، ومودعهم بعد أن حصـل بعض منهم على رقم هاتفه واعدين إياه أن يتواصـلوا معه من أجل المناسبات الثقافية المقبلة.

سـعيدٌ هو الآن إلى الحد الذى جعله يقطع طريق العودة على أقدامه دون أن يشـعر بهما، حتى أنهما لا يعلمان أكان يعاقبهما؛ لأنهما أجبراه على الخروج من بيته، أم أنه يكافأهما؛ لأنهما ساعداه فى تحقيق المطلب الثالث!

على باب الشـقة وقبل أن يدق بشـغفٍ ليبشـر الفيلسـوف بلل اصـبعه وخطّ" الشرط الثالث"

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

"أنا ضميرك، وهذه مهمتى التى وجِدتُ من أجلها، أن أتدخل فى الوقت المناسب وأمنعك من فعل ما لست أهلاً له أو ليس أهلا لك "

تنويه

هذا الفصل بكامله من خيال الكاتب ولا يمت للواقع بصله ، والقصيدة الواردة فيه من كلمات الشاعر \ يوسف الدموكي

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

(6)

كيف أصبح مشهورا!؟

اقترب الموعد الذى طال انتظاره، لقد أنهى خطواته الثلاثة الأولى بنجاح، وها هو فى خطوته الأخيرة يطلب ما يطلبه الجميع، ما تتحرك إليه الغرائز البشرية دوما بلا عمد، و يستوي فى السعي إليه الغني والفقير، القوى والضعيف ، العالم والجاهل، وكلٌ على طريقته.

الشهرة، جاذبة القوم، قاصيهم ودانيهم، عليه أن يكتسب هذه الصفة خلال ثلاثة أشهر، بدأت من الآن، علي الجميع أن يعرفه سريعا، لا يعلم كيف ولماذا سيعرفونه، ولكن إسراء أرادت، ولذلك سيفعل.

عاد إلى "جوجل" ثانية، فى خانة البحث كتب على استحياء:

كيف تصبح مشهورا؟

جوجل -رغم عدم اقتناع معاذ به - فصّل له الأمر هذه المرة، وليته لم يفعل، فقد أوحى إليه أفكارا جنونية قد تقوده إلى الشهرة، ولكنها قد تلقي به فى الهلاك أيضا.

TW. @Rabe3_elkotob

قال له "جوجل" فى إحدى موضوعاته: إذا أردت أن تصبح مشهورا عليك أن تفعل ما قد يجذب إليك الناس، سواء كان شيئا سيئا أم جيدا، فى النهاية سيعرفك الناس وتُصبح مشهورا.

ثم أردف "جوجل" مقترحا بحماقة: يمكنك على سبيل المثال أن تدعي الألوهية، أو إن أردت تخفيف الأمر فادعي النبوة، هكذا سيعرفك الناس وسيسعون حثيثا فى البحث عن أخبارك، فالبشر بطبيعتهم يميلون إلى الأمور غير الطبيعية، ويألفون غير المألوف.

"جوجل" أيضا أعطاه خيارا جيدا وقال له: كن لاعب كرة قدم، فالتقارير الرسمية والدراسات الحديثة أثبتتا أن البشر يهتمون كثيرا بكرة القدم، ربما يربطون بينها وبين كون العالم على شكلٍ كروي.

بعد نصف ساعة من البحث فشل "جوجل" فى إرضائه أو إقناعه، بل وأثار تذمره بمقترحاته الجنونية، فكان عقابه أن تركه "معاذ" وفضَّل الاستعانة بعقلٍ بشري.

****

أمام التلفاز جلس يتصفح العالم عبر المحطات التلفزيونية، مقدم البرامج هذا مشهور، والممثل هذا أيضا مشهور، كل شيء يظهر على هذه الشاشة مشهور"أمر قاده إليه عقله"

فى هذه الأثناء أتاه صوت الفيلسوف، كان مرتفعا مزعجا، لكنه فى نفس التوقيت كان مُلهما، ألقى أمامه بطريقة جديدة للشهرة عبر الصوت...الغناء.

سيظل الصوت الشجي هو تلك الموهبة التى تملك النصيب الأكبر فى أسر القلوب، لم تستطع الكتابة أو الرسمات ولا الأشعار أن تنتزع مكانته من قلوب الآخرين،ولكن ليس الغناء جميعه جيد.

TW. @Rabe3_elkotob

بالطبع هو يقصد الإنشاد الديني، والغناء الهادف، وال...

- "حماقة".

قالها له "ضـميره" عندما وصـلته هذه الفكرة أثناء مروره عليه فى طريقها إلى عقله، أثارته الفكرة إلى حد جعله يخرج عن صـمته ويتابع حديثه محاولا إقناعه:

- عزيزي، هل أخطأت معك قبل ذلك؟

قال فى قرارة نفسه وقد بدأ لتوه الحديث مع ضميره:

- لا لم تخطئ معي من قبل.

ثم أردف معاذ يحدثه بسخط وغضب عارمين:

- لم تخطئ لأنك لم تنصحنى بشيء من قبل.

قال ضميره على عجلٍ وكأنه ضمير للكثير وليس لمعاذ فقط:

- لا وقت للجدال، أنا هنا لأحدثك بشـأن صـوتك، إياك أن تغني، أسمعت؟ إياك أن تحاول حتى الغناء فى المرحاض، إياك أرجوك.

ثم أردف وكأنه قد سمع معاذا يسأله لماذا؟:

- صـدقني أنا لسـت عدوك ولكن حظي العثر جعلني مسـئولا عنك، وموقعي كمسـئول يحتم علىَّ أن أنصـحك بذلك حفاظا على آذان الآخرين، أنت لم تحاول الغناء من قبل، ضـع هذا نصـب عينيك ثم ضـع فى حسـبانك أنك لا تريد الغناء لمجرد الغناء، بل أنك أيضـا تريد أن تصبح مشهورا بصوتك هذا، كما قلت لك هذه حماقة.
قل لى هل حاولت الإنشـاد فى الإذاعة المدرسـية من قبل؟ هل دخلت المرحاض من قبل ودندنت بأغنيتك المفضلة؟؟

TW. @Rabe3_elkotob

صـحيح ...تذكرتُ شـيئا هاما، أنا معك منذ زمن ولم أراك تسـتمع لأنشـودة أو مقطع موسـيقي، ضـف إليك هذه الحقيقة من فضـلك "أنت بالأساس لا تحب الغناء"

لم يتركه يدافع عن نفسـه ثم قال وهو يلملم سـهامه المسـمومة بالإحباط التى ألقاها عليه:

- آسـف لتدخلي ولكن كما تعلم، أنا ضـميرك وهذه مهمتى التى وُجِدت، أن أتدخل فى الوقت المناسـب، وأمنعك من فعل ما لسـتَ أهلا له أو ليس أهلا لك.

اعلم جيدا أن صـوت العقل قد ينتصـر على صـوتي، ولكن هذا لا يشغلني إطلاقا، ما دمتَ لا تستخدم عقلك جيدا.

ثم تركه فى حيرته وانصرف.

بالطبع معاذ ليس بهذه السذاجة التى قد تجعله يصرخ قائلا:

- لا، انتظر أرجوك.

هو يدرك جيدا أن هذا ضميره وليس الفيلسوف صديقه.

"ما دمت لا تستخدم عقلك جيدا"، هذا آخر ما قاله ضميره.

ماذا يقصـد بهذا؟ ومتى لم أسـتخدم عقلى جيدا؟! وما هو الاسـتخدام الجيد له؟

كل هذه التسـاؤلات بدأت فى محاصـرة معاذ حتى طردت منه فكرة الغناء نهائيا، واسـتنتج أخيرا أن إسـراء ولأول مرة قد سـاعدته -وإن كان دون عمد- وذكرت فى مذكراتها طريقا للشهرة.

****

TW. @Rabe3_elkotob

إســراء ، هـذا هـو اســمي الـذى اختاره لي أبي، دائمـا ما اقترن بمنير فينادينى الجميع"إسـراء منير"، لكن فى الحقيقة اسـمى كاملا هو" إسـراء حسـن منير" ، فى اللـغـة الإنـجـليـزيـة وجـدت اســمى"ESRAA" لـكنى أفضـــل أن أكـتبـه دائما"israa"، المختلفون دائما يصـــنعون المجد لأنفســـهم، لذلك أنا أعشـــق الاختلاف وأراه ســلـمـا للمجـد، وعلى ذكر المجـد، يقولون أنى كـاتبـة روايـات جيدة، وقد أصبح كاتبة شـهيرة يوما ما، كتبت قصـتين قصـيرتين ورواية واحده نُشرت إليكترونيا وحملت اسم "الطريق إلى الحب".

****

كان هذا هو أول ما قرأه من مذكرات إســراء قبل ســتة شـــهور، لا يدري لماذا خطر بباله هذا الجزء الآن ولكنه فى النهاية تذكرة، وهذا هو طريق الشــهرة كما تقول إسراء.

الكتابة... هى طريقه للشـــهرة، هو مطالبٌ الآن بكتابة رواية جيدة، ونشـــرها فى دار نشـر جيدة والحصول على الشـهرة، ومن ثمَّ الذهاب إلى إسـراء والزواج منها بعد تحقيق كل ما طلبته.

هينة هى الكلمات حين تخرج من الفم كفرشـــاة؛ لترســـم أحلاما وردية قبل أن تصطدم بالأفعال التى لا تملك القدرة -غالبا - على تنفيذ تلك الكلمات.

معاذ الذي ظلت كراســة التعبير الخاصـــة به فارغة طوال فترة دراســته، ولم يحصـل فى مادة التعبير إلا على درجة النجاح أو يزيد عن ذلك بقليل، يُريد الآن أن يُصبح كاتبا روائيا!!

مثلُه كمثل مبتور الســاق الذى أراد صـــعود درجات السُــلّم فى أقل من ثلاثين ثانية، وهو بالأسـاس لا يملك الصعود درجة واحدة منهن، المشكلة تكمن فى أنه بحث عن الكم قبل الكيف.

TW. @Rabe3_elkotob

سيكتب الرواية وينتهى منها قبل الأول من نوفمبر هذا العام!!

عظيم... ولكن كيف سيكتبها؟؟ هذا لا يشغل معاذ كثيرا.

ما دام ضميره لم يلاحقه وقت أن قرر الكتابة، فهو يستطيع أن يفعلها بالتأكيد.

لقد قال له ضميره عندما قرر الغناء قبل قليل:

"أنا ضميرك، وهذه مهمتى التى وجِدتُ من أجلها، أن أتدخل فى الوقت المناسب وأمنعك من فعل ما لست أهلا له أو ليس أهلا لك"

كرر معاذ فى نفسه ليتثبت من الأمر:

"أمنعك من فعل ما لست أهلا له أو ليس أهلا لك"

أطلق صيحات متتالية، صيحات فرح بالتأكيد، ثم انتفض قائلا:

إذن أنا أستطيع الكتابة ما دام ضميري لم يمنعني من ذلك، ويرى أنني أهل لها.

انتظر لحظات ليتأكد من أن ضميره لن يناديه بالأحمق وبالفعل لم يناديه.

لقد قرر وعزم وسيفعل، لأنه معاذ، ولأن من طلبت هى إسراء.

الرواية... ما هى؟؟ وما هى قواعد كتابتها؟؟ وكم تستغرق؟؟

كل هذه تساؤلات دارت بذهنه، لن يجد إجابتها وحده بالتأكيد، سيحتاج لمساعدة شخص ما، شخص يستطيع التقويم أثناء الكتابة والتقييم بعد الانتهاء، تماما كيوسف.

نعم الفيلسوف يمكنه أن يقوم بذلك.

TW. @Rabe3_elkotob

قالها معاذ وهو يتذكر المرة الأولى التى حدثه فيها عن إسـراء، كان يقرأ وقتها رواية، ولأن يوما كهذا لا يُنسـى فاسـم الرواية أيضـا لم يغب عن معاذ، لقد كانت"فى قلبى أنثى عبرية"

ليس يومها فقط، بل طوال الوقت لم تكن تفارقه الروايات، إنه يشـتري الروايات أكثر مما يشـتري الكتب الدراسـية، قال كثيرا أنها حياته، وأنه يجد فيها متعته الشخصية.

يرى يوسف أن قراءة الروايات بمثابة السفر حول العالم، وعبر الزمان أيضا، فمن قرأ رواية عن الحرب مثلا ربما يستمع بأذنيه إلى صهيل الخيول وسليل السيوف، سيصيبه غبار المعركة تماما كما لو أنه أحد المشاركين فيها، إذن الرواية هى العالم الذى يعيش فيه المرء بإرادته على خلاف العالم الذى يعيش فيه بقدره.

وكما يقولون"نحن نعشق الخيال ونرى فيه سعادة يصعب رؤيتها فى الواقع لأننا نرتب أحداثه وننسق أدواره، نلجأ إليه دائما لأنه يأتي كما نشاء ومتى نشاء"

إذًا هو الفيلسوف، من غيره يمكن أن يلجأ إليه معاذ فى هذا الأمر؟!

لا أحد، ولكن كيف سيعرض عليه الأمر من الأساس؟ يخشى أن ينوب الفيلسوف عن ضميره وينعته فور سماعه بالأحمق، يخشى فقط ، ولكنه يعلم جيدا أنه لن يتردد فى مساعدته مهما كان الأمر، لقد وعده أن يبقى معه حتى النهاية.

فى رحلاته الثلاث السابقة تعلم شيئا هاما بعض الشيء... التنظيم.

ليطبق هذا على ما سيفعله فى رحلة الشهرة أيضا، فى البداية سيخبر الفيلسوف بهذه الطريقة التى يرى أنها ستقوده إلى الشهرة، بعدها سيختار فكرة جيدة؛ ليكتب عنها، بعد الانتهاء سيسلم مخطوطه إلى دار نشر كبيرة، وبعدها سيتم نشرها وسيصبح هو كاتب كبير،ومشهور.

TW. @Rabe3_elkotob

حسنا ها هوالفيلسوف يجلس على مكتبه ممسكا برواية أيضا، سيسهل هذا الأمر كثيرا على معاذ، ولن يحتاج كعادته إلى عناء المقدمات المملة.

****

- أحمق.

قالها الفيلسوف ما إن سمع معاذ يطلب منه مساعدته فى كتابة الروايات ثم أردف:

- ومن قال لك أنك إذا كتبت الرواية كما تدعي فستصبح كاتبا مشهورا قبل ثلاثة شهور!!

ثم تابع بعد أن ألقى بجسده للخلف، ووضع قدميه على حافة المقعد:

- لقد قلت لي ان اسراء هذه كتبت قصتين فصيرتين ورواية نُشرت إليكترونيا، هل سمعت عنها من قبل؟؟ هل هي مشهورة؟؟

صمته أجاب بـ"لا"، فتابع الفيلسوف:

- من يضمن لك أنك ستنجح ؟! هذا بافتراض أنك ستكتب رواية جيدة.

صمت معاذ لبرهة ثم قال وكأنه قد تذكر شيئا:

- ولكنى سمعت عن أحدهم يُدعى"نجيب محفوظ"، هو مصرى الجنسية، كاتب شهير وحصل على جائزة نوبل فى الأدب و...

قاطعه الفيلسوف وهو يقهقه ساخرا:

- بربك لقد قضى نجيب محفوظ عشرين عاما فى الكتابة دونما نوبل، لو لم يأخذها لما سمعت عنه، وإذ كنت تريد إقناعي بأنك ستحصل على جائزة نوبل فى خلال ثلاثة شهور فاقطع علاقتك بي من الآن؛ حتى لا يُقال عني صديق المجنون

TW. @Rabe3_elkotob

إستفذته سخريته كثيرا، وغضب أكثر من كلماته الأخيرة، لقد قال له "فاقطع علاقتك بى" ما كان له أن يقول ذلك حتى وإن كان قد قالها يمازحه.

هناك كلمات كالرصاصات الطائشة، لا يُعاقِب عليها القانون عندما تستقر بأحدهم، ولكنها تجرح كثيرا، ربما يبقى هذا الجرح دوما ليذكِر صاحبه بتلك الرصاصة، الفيلسوف فعل ذلك دون قصد وأطلق رصاصة طائشة على معاذ.

معاذ لن يعاقبه على هذه الرصاصة الآن ولكن أثرها سيظل يُذكِّره بها.

- اقترح علىَّ أنت إذن، ماذا أفعل كى أصبح مشهورا قبل ثلاثة أشهر؟

قالها معاذ مغيرا مسار الحديث، ومعيده إلى نقطة الصفر مرة أخرى، فمع أن الفيلسوف قد أوجعه إلا أنه قد أقنعه...

عدّل من ياقته كعادته عندما يشهد أحدهم بإقناعه له، لكنه أراد إرضاء غروره أكثر فقال:

- قل لى أولا، هل اقتنعت بما قلته لك؟؟ أعني هل استبعدت فكرة كتابة الروايات عن اقتناع أم انصياع؟
- فى الواقع أنت محق لكنى كنتُ متجها إلى كتابة الروايات؛ لأن إسراء قالت فى مُذكراتها...

قاطعه الفيلسوف وهو يصرخ فى وجهه غاضبا:

- بربك هل كل ما تقوله تلك الحمقاء قُرآنا يُنزل؟!

الرصاصة الثانية .. هذه المرة ستختلف القاعدة، فهذه الرصاصة ليست طائشة كسابقتها، وهذه المرة أصابته فى قلبه مباشرة، هذه المرة تعرض لمن يفعل لأجلها كل شيء...

هناك ثلاثة أشياء كان يجب على الفيلسوف أن يعرفها عن معاذ...

TW. @Rabe3_elkotob

الشـيء الأول: أنه إذا وجد صـديقا مخلصـا فقد يحب صـديقه هذا أكثر من حبه لنفسه.

الشيء الثاني: أنه -وبلا أدنى تفكير- قد يهجر صديقه هذا لأتفه الأسباب.

والشيء الثالث: أنه ذكيٌ وذكيٌ جدا.

للشـيء الثالث سـينتظر، هو يدرك تماما أن الفيلسـوف هو الجسـر الذى سيعبر عليه إلى إسراء، عليه أن يتحمله مهما كان، فقط ليصل بأمان، وبعدها ليكن ما يكون.

- حمقاء؟ ! أقلت عن إسراء حمقاء؟

قالها معاذ محاولا إشـعار الفيلسـوف أنه قد تأذى من كلماته، فأجاب هو بأسف:

- سـامحني على انفعالي، ولكنى لا أطيق رؤية الرجل ينصـاع لإمرأة، أيما كانت ومهما كانت علاقتهما أوالرابطة التى تجمعهما.

معاذ لن يسامحه مهما فعل، لكنه أكمل بابتسامة مصطنعة:

- لا عليك، دعنا نكمل حديثنا، جِدْ لى طريقا آخر للشـهرة لا تسـتغرق أكثر من ثلاثة أشهر.

قال بتأفف وهو يجول الغرفة بحثا عن طريقة ما:

- فى الواقع هذا ليس أمرا سهلا على الإطلاق، لو كانت الشهرة تُكتسب فى ثلاثة أشـهر لما تردد أحد في اكتسـابها، ولرأيت المشـهورين فى الأرض أكثر من الفقراء.
- إذن لا أمل... بربك ما العمل؟؟

انتفض الفيلسوف من مكانه وهو يصيح قائلا:

- كرر ما قلته لتوك أرجوك.

TW. @Rabe3_elkotob

بغرابة شديدة ردد معاذ وهو يتملق الفيلسوف:

- لقد قُلت "إذن لا أمل... بربك ما العمل؟". ما الغريب فى ذلك ال...

قاطعه الفيلسوف قائلا دون أن ينظر إليه:

- الشعر.

ماذا تقصد ب "الشعر" ؟

- طريق شهرتك هو الشعر، سوف تكونُ شاعرا.

قهقه معاذ حتى تكوّر على الأرض من فرط مزحة يوسف... كما ظن، ثم قال بعدما انتهى:

- والآن دعنا نكمل حديثنا، ماهى الطريقة التى قد نجني منها الشهرة قبل ثلاثة أشهر؟

رمقه بغضب ثم صرخ فيه:

- اسمع، أنا لا أمزح معك، أنت ستكونُ شاعرا، وشاعرا مشهورا، وهذه هى الطريقة الوحيدة التى قد تجنى بها الشهرة قبل ثلاثة أشهر، اقبل بها أو ابحث أنت عن طريقة أخرى، باستثناء الكتابة طبعا.

تملقه معاذ قائلا:

- أأنت جاد حقا؟

****

نسمات الهواء تداعب أوراقه، وقلمه ملّ من كتابة اللا شيء فهذه هى الورقة السابعة بعد العشرين التى يشرع فى كتابتها ثم يُمزقها، ضع نفسك موضعه وسترى أن الأمر ليس سهلا عليك، ولكنه ليس مستحيلا كما قال له الفيلسوف، خاصة إذا كان يُقربه من إسراء.

TW. @Rabe3_elkotob

عندما تفعل أى شيء لأول مرة سيراودك شعوران، الأول هو الاستمتاع بما تفعله، والثاني هو عدم الاقتناع، وكلاهما قد ضلَّ طريقه إلى معاذ، فهو لم يعد يشعر سوى بالتخبط!

فى عتمة الليل أو وضح النهار سوف تجد نفسك تتوقف فجأة وتلتفت حولك باحثا عن مرآة لتعلم من أنت، من الأفضل أن لا تجدها وقتها لأنك إذا كنت محظوظا ستكتشف أنك مزيجا من التخبط واللاشيء، بعضُهم لا يجد نفسه فى المرآة.

هذا الشعور سيتكرر كلما مررت بما يمر به معاذ، لكنه غير مكترث حاليا بالبحث عن مرآة ليرى فيها نفسه؛ لأنه يعلم أنه سيجد نفسه حين يجد إسراء.

- لديك مشاعر جياشة، ولغة شاعرية فطرية، وأشياء كثيرة تعبر عنها، تحتاج فقط لخيال خصب لتغلق عينيك ثم تستمع لقلبك وتكتب، فوالله لن يخزيك قلمك أبدا.

هذا ما قاله الفيلسوف له وهو يقنعه، ومع أن هذا الأمر قد راق له كثيرا إلا أنه لم يقتنع بكلامه حين سأله عن فائدة كتابة هذه القصائد، حيث قال بثقته المعتادة:

- سوف نشترك فى مسابقة "أمير الشعراء" التى ستنطلق نهاية الشهر الجاري، نحتاج فقط خمسة قصائد جيدة لتستخدمها فى مراحل المسابقة الخمس.

أحقا يستطيع معاذ فى تجربته الأولى أن يحصل على لقب"أمير الشعراء"؟!

ذلك اللقب الذى يلزمه -على الأقل - عشرون عاما من التلاعب باللغة، والتمكن من الكلمات وبناء الحروف لصنع الأبيات، أيفعلها معاذ فى شهر واحد!!

TW. @Rabe3_elkotob

الأمر الآن ضـبابي جدا، هناك من يثق فى معاذ وقدرته وهناك من يسـخر منه ومن قراره، أما الصـنف الثالث فهم قد اسـتعدوا جيدا لتلقي خبر إضـافة عجيبة جدا إلى عجائب الدنيا السبع.

الأمر قد حُسـم الآن، معاذ سـيشـترك وسـيخوض فرصـته الأولى والأخيرة نحو اللقب، ومن ثّم الشـهرة، إن فشـل فسـيكون لزاما عليه أن يذهب إلى منزل الدكتور حسـن منير ويسـلم الحقيبة التى وجدها قبل تسـعة أشـهر، وإن نجح فعليه أيضـا أن يذهب إلى ذات المنزل ليطلب يد صـاحبة الحقيبة، فى كلتا الحالتين سيذهب ويراها، ومجرد التفكير بهذا الأمر يسعده.

****

الشـهر كله مر كأنه يومٌ واحد، قصـائده الخمس التى كتبها نالت إعجاب الفيلسوف حتى أنه قد قال له - يُحفزه - عندما طلب رأيه "الإمارة تليقُ بك"

وصـل "أبوظبي" قبل موعد المسـابقة بثمانية وأربعين سـاعة، أدهشـته معالمها كغيره من زُوارها، اسـتبعد أن تكون هذه إحدى الدول العربية، قضـى يومين كأجمل ما يكون وسـط ناطحات السـحاب التي باتت ترمق حلمه بدهشـةٍ من أعلى القمم.

وبدأت المسـابقة، فى رحلته للنهائي وقف معه صِـغر سـنه يعضـد من موقفه ويرجحه على بقية منافسيه، قال له أحد أعضاء لجنة الحكم:

- لولا صِغر سنك لودعت السباق باكرا...

فى الجولة النهائية جُلُّ الحضـور كانوا على يقينٍ بما سـتؤول إليه الأمور، منافسو معاذ هذه المرة ليسوا كمن سبقوهم، أربعٌ منهم "فطاحلة" في الشعر، أصـدروا دواوينا عدد سـنوات معاذ التسـعة عشـر، ضـف إليهم "كَاري" وستشعر بالشفقة على معاذ...

TW. @Rabe3_elkotob

"كَاري"... فتاةٌ جزائرية لم تتجاوز سنواتها العشرين بعد، "خنساء العصر" كما يقول عنها الجميع، يقولون أيضا أنها - منذ زمن - قد تجاوزت مرحلة كتابة الشعر، وأصبحت تتنفسه كالهواء، تكتبُ فى كل شيء وعن أى شيء.

"كاري" كتبت أول بيت لها وهى بعمر ست سنوات، وأصدرت ديوانها الأول وهى بنت عشرة أعوام، تُرجمت أشعارها إلى الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية، بلاد العُرب افتخرت قبل عشرين عاما براويها الأول" نجيب محفوظ"، وها هى الآن تفتخر بشاعرتها الأولى" كَارى زياني"، أضف إلى كل هذا أنها أوتيت من الجمال بقدر ما أوتيت من الشعر، فلا فتاة تفوقها جمالا.

"كاري" بكل هذا ستنافس معاذا الليلة، وهو الذى لا يستطع - حتى الآن - التفريق بين البحور والأوزان، لو كان عاقلا غيره فى موضعه لانسحب خوفا من الكارثة، فهذه المرحلة تعتمد على تصويت الجمهور، والجمهور لا يعرف سوى "كَاري"

دخل يرتعش وينتفض،لم يستطع موارة ذلك،تعثر فى النطق وتسمر فى مكانه من هول الأمر، وكأنه جُنديٌ جبان مقدمٌ على القتال ، الفيلسوف رصد ذلك الأمر فأعلى صوته صارخا فيه:

- فعلت الكثير من أجل إسراء وبقى القليل ،حى على الحب يا رجل

ذِكرُ إسراء أمام معاذ أمرٌ كاف كى يُستثار، أغلق عينيه ثم فتحهما وبدأ قصيدته قائلا:

يا سادتي والله لستُ بشاعرٍ...

أو فارسٍ بالقولِ كالشعراءِ...

إنّي أتيتُ لكي أقول رسالةً...

والمحتوى فيها إلى إسرائي...

TW. @Rabe3_elkotob

أنّي صغيرٌ تائهٌ في كونها...

أو راهبٌ وأراها غار حراءِ...

يا حضرة الجمعِ الغفيرِ المنصتِ...

حبّي دءوبٌ لستُ فيه أُرائي...

يا روحَ نبضٍ يُستثارُ بداخلي...

يا شمسَ صبحٍ علّتي وبرائي...

يا بدر ليلٍ أستزيد بنوره...

ضيّا سقيتنيه وقد رآه الرائي...

هلّا سمحتِ لماجنٍ متعربدٍ...

في جوفِ قلبك يحتسي العَبراءِ...

لا يستحي إن باع عِزّة نفسهِ...

من أجلِكِ .. هلا قبلتِ شرائي؟

أهنا بحبّك من كفيفٍ أبصرَا...

أشقى بحبّك من تيّه الصحراءِ...

عبدٌ أتاكِ مهرولا يتطمّعُ...

في قُبلةٍ من عينِك العذراءِ...

أنى لمثلي أن يصوغ قصيدةً ...

عذرا إليكم .. حضرة القرّاءِ...

بعد أن ألقى قصيدته جلس ينتظر النتيجة بشغف، لا أحد - سوى الفيلسوف - يُدرك ما يعنيه الفوز لمعاذ، فهذه المسابقة حياة، ستُمنح له أو ستسلب منه.

TW. @Rabe3_elkotob

جميع المنافسين ألقوا قصائدهم أيضا بما فيهم كاري التى أطرقت لقصيدتها لجنة التحكيم، وأوجع الحضور أيديهم تصفيقا لها.

التوتر والقلق والخوف وكل الاضطربات التى عانى منها معاذ قبيل إعلان النتيجة كان يرقُبها الفيلسوف بإشفاق، كُلما التقت أعينهما تزعم الفيلسوف الابتسام ليُطمئنه، وكان رُغم هول الأمر يشير بقبضته رافعا أبهامه ليشعره بأن كل شيء بخير.

لحظات لم تطل ليخرج بعدها مقدم المسابقة قائلا والبسمة تغمره:

- بالطبع كلكم تتوقون لمعرفة أمير هذه الليلة...

مط فى كلمة أمير وهو يقلب عينيه بين المتسابقين ثم استقر عند كاري قائلا:

- أو ربما أميرة، أنا أعرف الفائز، ولإشفاقي على المتسابقين أود إعلانه للتو، ولكن دعونا أولا نشاهد هذا التقرير ثم نُعاود من جديد لنعلن الأمير.

مُعاذ ينتفض من داخله فى كل مرة يرى ابتسامة كاري وهى تلوح لمعجبيها وكأنها الأميرة...

التقرير الذى عُرض كان يحوي مجموعة من آراء الجماهير وكلمات لبعض أقارب المتسابقين، عندما تكلم والد كاري قال بقلق:

- أثق بفوز كاري لما تملكه من قدرات، وإن لم تفز موهبتها فحتما سيرأف بها القدر ويمنحها الفوز من أجل أن تعيش، فكاري تعانى من ضعف بعضلة القلب، قد نفقدها إذا فقدت الفوز.

ثم تابع والدموع تغزو عينيه:

- كاري ستفوز، أثق بذلك.

معاذ لم يلتفت للتقرير بقدر ما كان يفكر فيما سيحدث، بعد قليل ستُعلن النتيجة، وهو بكل تأكيد لن يكون الأمير، سيكون لزاما عليه أن يحزم أمتعته

TW. @Rabe3_elkotob

ويتوجه إلى شـــرنوب ليســـلم الحقيبة إلى صـــاحبتها، عليه من الآن أن يختلق أعذارا لتأخره عن تسليمها عاما كاملا.

بيد أنه قد أخلص فى الحب، والحب لا يُضـــيع من أخلص له؛ ولأن القدر أراد أن يستمر فى الاستمتاع بقصة معاذ وإسراء؛ ولأنه اجتهد قدر ما استطاع، بلا أية مقدمات لمعت فى رأس معاذ هذه الفكرة التى قلبت الطاولة.

****

العاشرة مساء (بعد إعلان النتيجة بساعتين)

من الآن فى شهرة معاذ؟!

المحطات التلفزيونية والصحف والمجلات والمواقع الإليكترونية، جميعهم يتناقلون أخبار الشاعر "معاذ عزالدين" بشغف، بجانبه الفيلسوف يضرب كفا بكف وهو غير مدرك لما فعله صديقه قبل ساعتين، قال له يستجديه:

- بربك ماذا فعلت! لقد أضعت كل شيء.

معاذ قال واثقا:

- لا .. بل فُزت بكل شيء، غدا سأرحل إلى إسراء.

أمام دهشة الفيلسوف أحضر معاذ حاسوبه الخاص، فتح متصفحا ما، وعلى محرك البحث "جوجل" الذى طالما لجأ إليه كتب بثبات: "معاذ عزالدين"

ألفان و سبعمائة، هذه حصيلة نتائج البحث عن معاذ بعد أقل من ساعتين من إعلان النتيجة، جميع النتائج عناوينها متشابهة "شاهد ما فعله المصري معاذ عزالدين فى مسابقة أمير الشعراء"

نقر على إحداهن ليبدأ "الفيديو" بالعرض...

****

TW. @Rabe3_elkotob

تنويه: (الجزء القادم هو تفريغ نصي لمحتوى الفديو)

والآن حانت اللحظة التى تنتظرونها جميعا، دقيقة واحده وتعلمون الفائز.

("زووم" على النصف الأول من جسد مقدم البرامج وهو يقول هذه الجملة)

الكاميرا تجول بين المتسابقين الخمسة ولجنة التحكيم والجماهير، ثم تعود إلى مقدم المسابقة من جديد، وبوضعية جديدة حيث يُفتح "الكادر" ليشمل جسده بالكامل بينما يتحدث هو قائلا:

- لا أستطيع الانتظار... الفائز أو الفائزة منكم هو أو هى...

فى هذه الأثناء تتجه الكاميرا إلى كاري ويظل الصوت مع المقدم، "زووم" على النصف الأول من جسد كاري وقد بدت عليها علامات القلق، تزامنا مع كل هذا تبدأ مكبرات الصوت بالمسرح بدق موسيقى الخطر.

يقول المذيع ببطء والكاميرا مازلت تلازم كاري:

- هو أو هى...
- أنا أنسحب.

تنطلق الكاميرا صوب صاحب الكلمة الأخيرة، "زووم"على الوجه، ثم نصف الجسد الأعلى" ثم "كادر"مفتوح يُظهر صاحب العبارة بكامل جسده.

لحظات صمت وسكون من الجميع عدا الكاميرا التى بدأت تجول بين ملامح لجنة التحكيم والحضور الذين صُدموا جميعا.

الكاميرا تستقر مع صاحب هذه المقولة بينما يقول المقدم:

- لكن لماذا يا معاذ؟!

الكاميرا تتجه نحو الفيلسوف الذى تسقُط منه لافتة علم مصر التى كان يرفعها بينما يتحدث معاذ:

TW. @Rabe3_elkotob

- من أجل كاري.

تتجه الكاميرا نحو كاري التى ظهرت عليها علامات الدهشة بينما يتابع معاذ:

- فى الحقيقة لا تجمعنى صلة بكاري ولا أعرفها، لكننى أعرف جيدا الإنسانية، يقول والدها أنها تعاني من ضعفٍ بعضلة القلب، ماذا لو فُزت أنا بالإمارة وتعرضت هى لصدمة قلبيه وفقدناها! ما ستفعل لي الجائزة! إنما خُلق التنافس لزيادة الود بين المتنافسين ليس لقتلهم، ولو كانت كاري فى موضعي لفعلت ذلك، أليس كذلك يا كاري؟

تتجه الكاميرا نحو كاري مرة أخرى، لكنها كانت تبكي هذه المرة، بينما يرج المسرح بالتصفيق ويخرج معاذ مغادرا وملوحا بيده للجمهور الذى لا يكف عن التصفيق.

****

- أفهمت؟!

قالها معاذ للفيلسوف الذى ظهرت عليه علامات الإعجاب بما فعله معاذ، ثم صفق قائلا:

- نعم فهمت، أنت داهيةً يا معاذ، لقد فعلت كل ذلك كى يثار الجدل حولك ويعرفك الجميع وليس فقط محبي الشعر، فما فعلته موجهٌ لمتابعي الإنسانية وهم كُثر، أنا أرفع لك القبعة ولكن...
- ولكن ماذا؟!
- لا أنكر أن شهرتك قد فاقت الحدود ولكن من شهد لك بذلك؟ أنسيت أنه يجب عليك فى كل مرة أن يشهد لك أحدهم بتحقيق الشرط؟!

TW. @Rabe3_elkotob

أمسك معاذ برأسه صارخا:

- يا إلهى لقد نسيت، كيف فاتنى ذلك الأمر؟!

****

من الآن في حيرة معاذ؟

لقد فعلها لكن لم يشهد له أحد بفعلها، وكأنه لم يفعلها.

ظل يفكر بها حتى وهو يركب الطائرة استعدادا للعودة، تشكك للحظات أن هذه الرحلة بلا فائدة حتى جاءه ما كان ينتظره بشغف.

سيد معاذ ما الذى تود تناوله؟

قالتها مضيفة الطائرة لمعاذ الذى أجاب مستفهما :

- سيد معاذ! كيف علمتِ باسمي؟

شعرت بخجلٍ وظنت أنها قد أخطأت:

- عذرا سيدي ولكن الجميع يعرفك وليس أنا فقط، أنت شخصية مشهورة يا سيد معاذ.

ما إن سمعها حتى صاح بها للفيلسوف قائلا:

- أيها الفيلسوف... لقد وجدتُ الشاهد الرابع..

قالها ثم بلل إصبعه بفمه وكتب على نافذة الطائرة "الشرط الرابع"

***

TW. @Rabe3_elkotob

لا تخشَ الموت.. البشر وحدهم يستطيعون إيذاءك

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

(7)

صديقى خدعنى

1 أكتوبر 2014

على غير عادته، تنفس الصبح سريعا، وبدا كل شيء مستعدا لاستقبال هذا اليوم، لم يكن معاذ وحده من ينتظر منذ زمن هذا الصباح، الكون كله كان يرقب الأمر باهتمام، الشمس لولا مهمة إشراق الأرض بأكملها لرافقته وحده فى رحلته إلى دمنهور، والقمر لولا اعتماد الجميع على ضوئه ليلا لجلس يستمع إلى ما سيقوله معاذ الليلة، ومعشر الطير ينقل للجميع هذا الخبر دون كلل أو ملل، معاذ سيفعلها هذا المساء.

بذلته التى يرتديها الآن أنيقة جدا، استأجرها بنصف قوت شهره، وحذاؤه البني اللون هذا من الجلد الطبيعي، اشتراه مساء أمس بورقتين من فئة المائة جنيه، أما باقة الورد تلك فهي الشيء الوحيد الذى لم يكلفه مالا هذه الليلة؛ فلقد جمعه بنفسه من بستانٍ لوالد أحد أصدقائه.

وكما عاهد نفسه قبل عام، هذه هى علبة "الشيكولاتة" الفاخرة التى تظهر دائما فى إعلانات التلفاز، اسمها "كوفرتينا"، سيجبره "فن الإتكيت" عندما تفتحها والدة إسراء أن يأخذ منها قطعة واحدة، أما باقى العلبة فهى لهم للأسف، من أجل إسراء سيقبل بهذا.

TW. @Rabe3_elkotob

بقي معه مائتا جنيه، ولا ينقصه الآن شيئا سوى تكاليف السفر إلى دمنهور، ورغم أنها زهيدة إلا أنها ستضيف فى عمر الانتظار وقتا أكثر؛ حيث يستغرق الوصول إلى إسراء أربع ساعات بالقطار وساعتين بالحافلة "الميكروباص"، فى الحسابات المالية فالأمر يتكلف عشرة جنيهات بالقطار وأربعين جنيه بالحافلة، لكن الوقت عنده أثمن من المال.

****

محطة رمسيس بالقاهرة

موقف السيارات، بجوار محطة القطارات.

الخامسة مساءًا

ما بين ذهابٍ وعودةٍ ترى كل الوجوه حاضرة فى هذا المكان، هنا يلتقي الحضر بالريف، وصعيد مصر بقريها، هنا عاصمة التنقل بين المحافظات، هنا "رمسيس".

معه الفيلسوف قدما بقدم، يودعه قبل رحلته الأهم فى حياته، يُعدِّل من ياقته تارة، ويزيل كل غبار اقترب من بذلته الأنيقة أو أى شائبة حاول النيل من مظهر معاذ، هو الآن ينفذ وعده الذى وعده إياه قبل عام، فقط الرجال هم من يفعلون ذلك.

بالسؤال وجدا أخيرا موقف الحافلات المتجهة إلى دمنهور، وكخدمة من القدر اختصر لهما الوقت ليجدا الحافلة ممتلئة عن أخرها باثني عشرة أشخاصا عدا مقعد واحد خاوٍ، كان بالطبع ينتظر معاذا، ولحسن حظه فقد كان يجاور النافذة.

ركب بعد أن وضع الحقائب أعلى الحافله، بينما نظر من النافذة ونادى الفيلسوف قائلا:

- أيها الفيلسوف ... أحبك كثيرا.

TW. @Rabe3_elkotob

بنظرة حبٍ مثلها قال الفيلسوف:

- وأنا أيضا يا صديقي العزيز.

أراد ممازحته فقال وهو يغلق النافذة استعدادا للرحيل :

- ولكني أحب إسراء أكثر منك.

بابتسامة ماكرة أجاب الفيلسوف بما لم يكن يتوقعه معاذ قائلا:

- وأنا أيضا يا صديقي العزيز.

صعقه الرد بينما حاول تمالك نفسه وتصنع الابتسام:

ماذا تقول؟؟ لقد كنت أمزح معك...

واصل ذات الابتسامة الساخرة وقال وهو يدير ظهره للحافلة مكررا للمرة الثالثة:

- وأنا أيضا يا صديقي العزيز.

سقط منه هاتفه تحت الحافلة فأنكبَّ على بطنه ليحضره قبل أن تتحرك، في هذه اللحظة دوَّى صوت القطار من داخل المحطة القريبة من "موقف السيارات " فأسرع في إحضار الهاتف ثم استدار وهو يغمز بعينه لمعاذ مشيرا بيده قائلا:

- إلى اللقاء يا صديقي... العزيز.

لم يتوقف معاذ كثيرا عند هذا الحديث وتابع تخيلاته عما سيجري بعد ساعتين في منزل الدكتور حسن منير، الشمس والقمر والطير والنبات وكل مرافقيه ومشجعيه ومن سمعوا هذا الحديث، كلهم تمنوا لو يلتفت معاذ وأن يتوقف -ولو قليلا - ليفكر فيما حدث، ونظرات الفيلسوف له، لكنه لم يتوقف، فتركوه ولسان حالهم جميعا "ستندم كثيرا على ذلك"

TW. @Rabe3_elkotob

وكعادة الجميع أثناء السفر، شرعوا فى تبديد الوقت واستهلاكه بكل الطرق المتاحة فى محاولة منهم للتخفيف، وكلٌ على طريقته.

أحدهم أخرج مصحفه من جيبه وبدأ القراءة فى سره، وآخر وضع "الهاند فري" فى أذنه وراح فى عالمه يستمع ما يستمع، وهذه أمسكت بمن ترافقها وأخذت تحدثها عن الحياة ومتاعبها والأطفال والمعاناة فى تربيتهم وعن كل شيء يمكنك أن تطلق عليه "ثرثرة".

سائق الحافلة اكتفى بأم كلثوم ونيسا له فى رحلته، وظل طوال الوقت يصرخ مهللا كلما أبدعت فى مقطعا موسيقيا كعادتها، أما هذان الطفلان فقد غطّا فى النوم مذٌ أن تحركت الحافلة قبل نصف ساعة من الآن.

كل شيء كان بخير إلى أن اكتشف السائق أمرا مريباً جعله يصرخ للحظات لم تطول.

****

2 أكتوبر 2014

التاسعة مساء

مستشفى الزهراء بدمنهور

- اسمع، إياك أن يتسرب هذا الخبر للصحافة بأى طريقة، وليكن جوابك على الجميع أننا لم ننتهي من الحصر بعد، وأعطى العاملين بالمشرحة ذات التعليمات.

قالها الدكتور "فؤاد سيد" مدير المستشفى لأحد أطباء التشريح ثم أردف يستوضح:

- قل لى أولا ما الذى حدث؟! فأنا قد جئت منذ سماع الخبر دون أن أعرف شيئا عن الواقعة.

TW. @Rabe3_elkotob

تنهد طبيب التشريح وحبس بعض أنفاسه ثم أخرجها دفعة واحدة وهو يقول:

- الوضع كان مأسويا جدا، هناك حافلة انطلقت من القاهرة مساء أمس قاصدة البحيرة ودمنهور تحديدا، وفجأة انقلبت على الطريق دون أسباب، وبعد عدة دقائق وبسبب البنزين المتساقط من منبع الوقود انفجرت الحافلة بمن فيها.

شهق السيد فؤاد ثم قال بفزع:

- يا إلهى!! هذا يجعل فرص النجاة معدومة، ويعطينا نتيجة واحدة.

أومأ طبيب التشريح برأسه وهو يقول:

- نعم هذا ما حدث، وبالفعل لقي كل الركاب حتفهم، فلقد عثرنا على ثلاثة عشرة جثة متفحمه، ذلك التفحم الذى يستحيل معه التعرف على هوية أصحابها.

"وهناك شيء آخر"

قالها طبيب التشريح ثم أردف:

- هذه الحافلة عندما تحركت من القاهرة كانت تقل أربعة عشر شخصا، ونحن قد عثرنا على ثلاثة عشرة جثة فقط داخل الحافلة، بينما وبدون أية تفسير هناك شخص وُجد خارج الحافلة ونجى من الانفجار!!

تملقه مدير المستشفى بغضب ثم صرخ فيه قائلا:

- وما الغريب فى ذلك؟!

نظر إلى النافذة ثم قال وكأنه يتذكر حالة هذا الشخص:

TW. @Rabe3_elkotob

فى جســـده عدد هائل من الجروح، يده اليســـرى وســـاقه اليمنى كُســـرا أثناء الحادثة، لديه ارتجاج فى الجمجمة إثر اصطدام عنيف، نزف داخليا لأكثر من ساعتين، فقد أكثر من ثلث دمه فى ست ساعات، ومع كل ذلك ما زال حيا!!

- ماذا قلت؟ ما زال حيا!! كيف ذلك؟؟

راح فى تيه ثم قال وهو يلوح برأسه:

- صدقنى يا سيدي، أنا عاجز عن استيعاب ذلك الأمر، أى إصابة من مئات الإصـــابات تلك كفيلة بقتله فى الحال، ولكنه لم يمت، عندما ترى جسـده سـتجزم أنه لم يلبث من الانتهاء من مصـارعة ألف رجل، أو يزيد.
- لابد وأنه يريد الحياة.

قالها مدير المستشفى وهو يسترخي على كرسيه وعينه على النافذة ثم أردف:

- هذا الشـخص يمتلك ما يعيش من أجله، هناك ما دفعه إلى محاربة الموت، هو أراد النجاة لغيره لا لنفسه، هناك شيء ينتظره لا يستطيع فعله غيره، فى بعض الأحيان يمكن للمرء أن يتغلب على الموت، هذا الشخص فعلها.

قال طبيب التشريح فجأة وكأنه تذكر شيئا:

- هناك شيء آخر لم أفهمه بعد..

أومأ مدير المستشفى برأسه فاستطرد الطبيب بعد أن ابتلع ريقه:

- يده اليمنى منذ الحادثة وحتى دخوله غرفة العمليات ظلت ممســكة بشيء ما لا تتركه.

فتح فاه مندهشا ثم قال على عجل:

- شيء؟؟ أى شيء هذا؟؟

TW. @Rabe3_elkotob

أدار ظهره استعدادا للانصراف وهو يقول:

- "مذكرات "لفتاة تُدعى إسراء منير

****

مستشفى الزهراء بدمنهور

الدور الثالث

عنبر 9

ككل المستشفيات الحكومية، غرفة كبيرة جدا، تمتلأ بعدد لا بأس به من البشر، قليلٌ من المرضى وكثيرٌ من زوارهم وأعداد لاتُحصى من الآهات تصدر من كليهما، فإما مريض يتأوه أو زائر يندب حظه العِسر.

كل هذا ينتهي عندما تقترب من السرير رقم (9)، فلا مريضا يتأوه ولا زائرا يندب حظه؛ فلا يوجد هنا سوى اللاشيء واللاصوت وقليلٍ من الأمل وكثيرٍ من الوجل.

- هل ما زال كما هو فى غيبوبته؟ ألم يعد إلى وعيه بعد؟

قالها الطبيب المراقب للعنبر قبل أن تجيبه مساعدته:

- يسترد وعيه كل ساعتين لدقائق ويردد ثلاثة أسماء فقط، ثم يعود لغيبوبته مرة أخرى.

الطبيب سأل مستفهما:

- أسماء!! أية أسماء؟
- تارة يقول إسراء... وتارة أخرى يصرخ قائلا يوسف... صديقي، وفى المرة الأخيرة طلب الفيلسوف بلهفة.

TW. @Rabe3_elkotob

صمتت لبرهة ثم استطردت:

- محقق الشـــرطة كان هنا منذ قليل للتحقيق معه باعتباره الناجي الوحيد من الحادثة، وقلت له ما قلته لك للتو، وقال أنه ســيبحث عن أصحاب تلك الأسماء.
- هل زاره أحدٌ من أقاربه؟؟

لوحت برأسها أن "لا"، ثم استطردت:

- هذا ما يحيرنى حقا، فذوو الضـحايا جميعهم جاءوا لاســتلام جثث ذويهم على الفور، والناجي الوحيد لم يأتِ من يســأل عليه مع أنه قد مر أكثر من ثمان وأربعين ساعة على الحادثة.

قال متشككا:

- من الممكن أن لا يكونوا قد علموا بأمر الحادثة بعد!

نفت هى بشدة ثم قالت كما الواثق من نفسه:

- مســتحيل... الصـحف، المجلات ومحطات التلفاز... الجميع يتناقل الخبر منذُ البارحة.

اقتنع باستنتاجاتها وهمَّ بالرحيل وهو يقول:

- "امممم"، حسنا عندما يأتى محقق الشرطة أرسليه إلىّ.

****

TW. @Rabe3_elkotob

دلجمون – كفرالزيات

منزل الشيخ عزالدين

المنزل يعج بالزوار، عزالدين على غير عادته لم يخرج من بيته منذ يومين، عندما اقتحموا عليه منزله وجدوه قد أُغشى عليها من نوبة السكر التى تزامنه.

عندما استفاق طلب معاذا، اتصلوا به يطلبوه فوجدوا هاتفه مغلقا، ذهبوا إلى مسكنه بالقاهرة فوجدوه موصدا، فزاد قلقه عليه.

- يا شيخ عزالدين هل أقرأ لك جرائد اليوم كالعادة؟

قالها أحد الحاضرين محاولا تسليته لكنه أجاب:

- لا، لا طاقة لي بسماع أى شيء سوى نبأ معاذ.
- حسنا كما تريد.

قالها الرجل ثم ألقى بها خارجا لتسوى بالأرض، على أحد صفحاتها وطأ أحدهم بقدمه صورة معاذ دون أن يلتفت، بجانب الصورة كُتب... "من يعرف صاحب الصورة ليُنقذه"

****

مستشفى الزهراء بدمنهور

الدور الثالث

عنبر 9

كفّاه على وجهه يباعد بين أصابعه ممررا نظره بينهما ثم يصرخ مذعورا:

أين أنا؟ كيف جئت إلى هنا؟ إسراء .. الفيلسوف !

هذا هو معاذ كلما استفاق، لا يزال مقتنعا بأن كل ما يحدث حوله لا يتخطى كونه حلما، أنين المرضى وصخب المكان يحاولان جاهدين إثناءه عن هذا

TW. @Rabe3_elkotob

الاحتمال، الممرضة والطبيب المعالج أيضا حاولا فعل ذلك بزيارتهما المتكررة له من حين لآخر.

- قل لى، هل أنت بخير الآن؟

قالها الطبيب لمعاذ بعد أن شُقت على شفتيه ابتسامة روتينية، ثم أردف دون أن يستمع الجواب من معاذ:

- هذا هو الرائد علاء من قسم شرطة دمنهور و...

قاطعه معاذ بحُمق لم يلتفت إليه:

- حقا!هل أنا فى دمنهور الآن ؟؟

رمقه بغضب ثم تصنع الابتسام مراعيا حالته الصحية وأردف:

- نعم، أنت فى مستشفى الزهراء بدمنهور.

انتظرَ لحظات يترقب تعقيبه، ولكن اكتفى بالسكوت، فتابع بجدية:

- كما قلت لك، هذا هو الرائد علاء من قسم شرطة دمنهور، يريد سماع شهادتك فيما حدث باعتبارك الناجي الوحيد من هذا الحادث الأليم.

توقف الطبيب ثم نظر إلى الرائد علاء وكأنه يعطيه إذنا بالحديث، فقال الرائد علاء:

- فى البداية حمدا لله على سلامتك يا سيد "معاذ "، وأعدك أننى لن أطيل عليك مراعاة لحالتك الصحية .. أريد منك إجابة على سؤال واحد.

ثم نظر إلى الكاتب ليستعد وأعاد بصره لمعاذ قائلا:

- ماذا حدث؟؟

****

TW. @Rabe3_elkotob

الطريق الصحراوي بالبحيرة (قبل اثنين وسبعين ساعة)

"إنما للصبر حدود.. للصبر حدود ، للصبر حدود "

خرجت من مذياع الحافلة على لســان أم كلثوم، انتزعت معها آهات الجميع عدا معاذ الذى كان وكعادته عند الاختلاء بنفســه يفكر فى عالمه الآخر الذى بناه له مع إسراء.

تذكر " المذكرات "، فأخرجها من حقيبته يتأملها فأتى الهواء يســرقها منه وانتزعها من يده رغماً عنه لتسقط من نافذة الحافلة.

معاذ صرخ على السائق:

- توقف .. توقف أرجوك.

السائق أجابه بفزع:

- ماذا بك يا سيدى ؟
- سقط مني شيء هام.

السائق حاول أكثر من مرة التوقف دون استجابة من سيارته ليكتشف الكارثة ويصرخ:

- يا إلهى لقد تلفت "الفرامل"، ولا أملك التحكم فى السيارة.

الجميع يصــرخ بينما يحاول معاذ القفز من النافذة، وأثناء القفز تصــطدم الحافلة بصــخرة على جانب الطريق، وتنقلب بمن فيها عدا معاذ الذى أنقذته "المذكرات".

بعد أقل من دقيقة تنفجر الحافلة إثر ثقب فى مخزن الوقود!!

****

TW. @Rabe3_elkotob

- إنه حقا حادث مأسوي، ولكن حديثك يوحى بأنها لم تكن مصادفة، بل كانت جريمة مدبرة، شخصٌ ما أجرم بحقكم، من شهادتك هذه نستطيع استنتاج أن الـ"الفرامل" قد حُلَّت في القاهرة بواسطة شخصٍ ما.

دمدم معاذ بأسىً بدا من حديثه، ووجع بدا من هيئته:

- ومن يا تُرى هذا الشخص؟ ولماذا فعل ذلك؟ ومن كان المقصود ؟
- بكل أسف هذه الأسئلة لا يمكن طرحها على باقي الضحايا؛ لأنهم قد لقوا حتفهم، ولكن دعني أسألك لكونك الناجي الوحيد إن كان لك عداوة مع أحد؟!

قال فجأة وكأنه تذكر شيئا:

- يوسف الفيلسوف.

اقترب منه الرائد علاء، وأعاره انتباهه، وأطرق ليسمع بعد أن قال بلهفة:

- هل تشك بأن هذا الشخص على علاقة بالحادث؟

لوح بيده ورأسه ونفى بشدة قائلا:

- لا لا، بالطبع لا، هذا صديقي العزيز وأخي الذى لم تلده أمي، أنا فقط تذكرته وأسأل عنه، لماذا لما يأتِ، لا يمكن أن يكون قد علم بالأمر ولم يأتِ؟؟
- فى الحقيقة ربما لم يسعفه الوقت ليعلم بما حدث لك.

قذف فى قلبه الخوف فسأله متلهفا:

- ماذا تقصد بقولك لم يسعفه الوقت؟؟

تلعثم بعض الشيء ثم نظر للطبيب وكأنه يخبره أن ما سيقوله للتو ربما يؤثر على حالة مريضه، ولكنه تغاضى عن ذلك وأردف:

TW. @Rabe3_elkotob

- سيد "معاذ" يؤسفني إخبارك أن يوسف صديقك لقي حتفه أيضا صباح أمس.

املأ كوبا من الماء لشخص لم يرتوِ منذ ثلاثة أيام ثم اسكبه على الأرض أمام ناظريه، وانظر لترى قدْر البؤس الذى سيغدو عليه،هذا لم يكن يمثل شيئا فيما شعر به معاذ وقتها، بالكاد استطاع النطق لتخرج منه:

- ولكن كيف؟

****

السبت 2 أكتوبر ..

العاشرة صباحا (قبل 24 ساعة من الآن)

فقط فى مصر، خلف كل احتشاد للبشر أبشر بكارثة، فالناس هنا وعلى خلاف الجميع تجذبهم الكوارث ولا يتجمعون إلا وتسبقهم المصائب، وهذا ما يحدث الآن.

يقول شهود العيان الذين استجوبهم الرائد علاء عقب علمه بموت يوسف:

كنا جلوسا أمام العمارة فى تمام التاسعة صباحا عندما جاء يوسف، كان وجهه شاحبا ومضطربا بائسا وكأنه قد أثقل بهموم الدنيا، لم يُلق السلام علينا على غير عادته وكأنه لم يشعر بنا، كان يحمل فى يديه شيئا ما خبأه تحت إبطه، ثم ذهب إلى شقته ولم يمكث فيها أكثر من نصف ساعة.

فى تمام العاشرة إن لم يكن بعدها بقليل رأينا يوسف يهوى من الطابق الأخير، وكان يحمل فى يديه شيئا ما، نعتقد أنه ذات الشيء الذى صعد به تحت إبطه.

سأل الرائد علاء مستجوبا:

- وماذا كان هذا الشيء؟

TW. @Rabe3_elkotob

- لقد كان علبة "شيكولاتة" .. على ما نتذكر كانت من نوع الـــ "الكوفرتينا ".
- هل لديكم أقوال أخرى؟؟
- لا، ولكننا نود إضافة أنه فور سقوطه صعد أحدنا إلى الطابق الأخير يتفقده، فلم يجد أحدا فيه، لابد وأنه قد اختل توازنه فهوى أو....

قاطعهم هو ليقر ما يعتقدونه قائلا:

- مفهوم، تقصدون انتحر؟! ولكن هل كان فى حالة نفسية سيئة لهذه الدرجة؟ أو تلقى صدمات أو أزمات اضطرته للانتحار؟!
- نحن لا نعلم ذلك، ولكن من يرى يوسف لا يمكنه التصديق بأنه قد يُجرم فى حق نفسه يوما، لقد كان شابا مثقفا فيلسوفا كما يقولون، وينتظره مستقبل باهر.
- حسنا، شكرا لتعاونكم معنا، والآن انتهى التحقيق.
- العفو، ولكن قل لمعاذ صديقه أن يذهب للدكتور مدحت؛ فهو يريده بشأن يوسف.

****

قال له الطبيب أنه قد أصبح بخير، يمكنه المغادرة فى أى وقت إن أراد، أوصاه بالحذر والمتابعة مع أقرب طبيب حتى يتعافى تماما.

سيفعل ذلك ولكن عليه أولا أن يذهب للدكتور مدحت.

العنوان الذى تركه مع الجيران قاده إلى إحدى العيادات بمصر الجديدة، قبل ساعتين وهو فى طريقه إلى هنا كان على استعداد تام أن يتقبل كل شيء يصادفه، كل شيء إلا أن تكون هذه العيادة لطبيب نفسي.

TW. @Rabe3_elkotob

استبعد أن يكون هذا الأمر ذا صلة بيوسف، جزم أنه قد أخطأ العنوان أو أن الطبيب هو من أخطأ فى استدعائه، وفي الحالتين هناك لبْس.

"لدي موعدٌ مع الدكتور مدحت".

قالها معاذ لممرضة الاستقبال قبل أن تنهض هى وتقوده إلى مكتبه قائلة:

- أجل .. هو ينتظرك.

فى هذه اللحظات استبعد الخيار الأول بأنه قد أخطأ فى العنوان، رجّح الثاني ودخل متذمرا بينما وجد الدكتور مدحت فى انتظاره، ما إن رآه حتى قال قلقا:

- معاذ، هل أنت بخير؟

أومأ برأسه أن "نعم" فقال له الطبيب:

طلبتك كي أحدثك عن يوسف صديقك، ماذا تعرف عنه؟!

- الفيلسوف ..

قال يقاطعه:

- لا، بل أسألك عن يوسف.
- وما الفارق؟ كلاهما واحد.
- لا، الفيلسوف شخصٌ مغاير تماما عن يوسف.

أمام دهشة معاذ سأل الطبيب:

- حسنا... فى البداية ماذا تعرف عن مرض الفصام؟
- الانفصام؟
- لا، بل الفصام.

صمت معاذ ذلك الصمت الذى دل على جهله بالأمر، فتابع الطبيب:

TW. @Rabe3_elkotob

- الفصـــام من الأمراض الغريبة التي لم يألفها الناس؛ ولذا لا يعرفون عنه الكثير، فمرض الفصـام هو مرض دماغي مزمن يؤدي إلى خلل في بعض وظائفه وخاصـة السـلوك والأفكار والمشـاعر، ينتج هذا المرض عن خلل في بعض النواقل الكيميائة في مناطق معينة في الدماغ.
يتباين المرضى في شـدة الإصـابة بالمرض، فمنهم من يعاني من فصـام خفيف الشــدة، ومنهم من يعاني من فصــام أكثر شــدة، وهذا يعتمد على مدة المرض وتناول العلاج والانتكاســات والتأثر الدماغي بالمرض، حتى يصل في بعض الأحيان إلى أن يملك المريض سلوكين.

معاذ سأل متشككا:

- أتعنى أن يوسـف كان يملك شخصيتين؟
- في الواقع فكرة أن مريض الفصــــام يحمـل شــخصـــيتين هي فكرة خــاطئـة على المســـتوى العــالمي، ابتــدعــه كُتّـاب الروايـات وأفلام السـينما، مرض الفصـام يؤثر على كل أوجه الشـخصـية، وتزيد هذه الأعراض وتخف بين الحين والآخر حتى بدون العلاج، ولـذا يظهر على المريض بشـكل غير واضح أنه يمتلك شـخصـيتين، والواقع أن المرض موجود طوال الوقت، وأن مسـمى الفصـام نقصـد منه ابتعاد المريض عن الواقع وانفصـامه بين المشـاعر والافكار والسـلوك.
- لكن لماذا يتعرض يوسـف للفصـام من الأساس؟
- هذه قصـة طويلة، فقبل عـامين تعرض يوسـف لصـفعة عـاطفية حين تقدم لإحدى صديقاته وكانت تُدعى علياء.

قال معاذ مقاطعا الطبيب ثم أردف واثقا :

- أعرف كل شيء عن هذا الأمر.

لوَّح الطبيب يمينا ويسارا وهو يقول:

TW. @Rabe3_elkotob

- في الواقع هو لم يخبرك سوى بالنصف الأول من قصته.
- وما النصف الأخر؟
- عندما خرج يوسف ووالداه من منزل علياء تعرض والده من فرط صدمته لشلل تام أقعده في بيته، أما والدته فلم تتحمل الأمر برمته من إهانة على يد ولدها وشلل زوجها فماتت بعد تلك الواقعة بعشرة أيام.

أمام هول معاذ تابع الطبيب:

- شعور يوسف بأنه هو السبب فيما آل إليه والداه كان سببا كافيا لتقبله أى شيء، ومن المحتمل أن يكون قد أُصيب بالفصام وقتها.
- يالله أحدث كل ذلك من أجل الحب؟!

قال معاذ مفزَعا، فتابع الطبيب ملوحا مرة أخرى:

- ليس هذا فقط، بعد شهر واحد من الواقعة، انقلبت سيارة والد علياء بمن فيها ومات الجميع في حادث مروع، وعُثر على أربعة جثث لعلياء وشقيقها ووالديها، وعندما تم دفنهم جميعا في قبر واحد نقشت تلك العبارة الغامضة على باب القبر...

معاذ سأل بشغف :

- أى عبارة؟!
- "الموتُ عقابٌ لهم وراحة للآخرين"
- يالله لا أصدق أن كل هذا قد حدث، ولكن اعذرني كيف علمت بكل هذا؟

TW. @Rabe3_elkotob

- بعد عدة أشـــهر من الحادثة، جاءنى به أحد أقاربه وقال أن تعامله مع أصـــدقائه قد تغير، وبعد فحصـــه ومتابعته تبين أنه يعانى من الفصام.
- تغير؟ كيف؟
- يُقال أنه يســاعد أصـدقائه فى علاقتهم العاطفية حتى تتم، ثم يباشــر هو بنفسه إفسادها، أظن أن هذا هو ما فعله معك.

أمام قلق معاذ تابع الطبيب:

- لكن لا تقلق فقد انتهى كل شيء وقد حصل على عقابه كاملا.

خرج من " عيادته " محملا بأثقال الدنيا ومتحفزا للكثير من الحقائق، قال فى نفسه أن كل شيء سينتهى حين يصل لإسراء؛ لذلك هي وجهته القادمة.

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

الطريق إلى الحقيقةِ يبدأ دوما بكثيرٍ من الصدمات

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

(8)

الآن تكشف الحقائق

هى الحياة، لن تبخل يوما عليك ببؤسها وشقائها، وستحرص كل الحرص على ألا تعطيك السعادة التى تريدها، واجهها إن استطعت، والعنها كلما أردت، وتمنى الموت بقدر كرهك لها، وإن تركتك تعيش فاعلم أنها تعاقبك أشد العقاب، معاذ ممن تعاقبهم الحياة...

"لطالما ساعدتني كثيرا فساعدني هذه المرة أرجوك"

برجاءٍ أخذ يرددها مناجيا ربه وهو فى طريقه إلى إسراء، يُدرك تماما أنه قد اقترب من معرفة الحقيقة، فالطريق إلى الحقيقةِ يبدأ دوما بكثيرٍ من الصدمات، وهو - بكل ما حدث له - فى طريقه إليها بلا شك.

صدمته الأولى كانت فى صديقه الذى حاول قتله، أكان ساذجا لهذه الدرجة حتى يخدعه الفيلسوف! أم كان تافها حتى يُخدع بهذه السهولة!

صداقته أجبرته على الدفاع عن الفيلسوف، لكنه من داخله على يقين أن الفيلسوف قد أجرم بحقه، تغاضى عن ذلك ثم قال يحدث نفسه كما لو كان طبيبا نفسيا:

TW. @Rabe3_elkotob

- يجب أن ندرك أن ما يقوم به المريض من سلوك وما يحمله من أفكار، وما يكيله من اتهامات هي نابعة عن خلل في المواد الكيميائية في مناطق معينة من الدماغ، أي أنها نابعة عن مرض كمن يصاب بالحمى عندما يأتيه التهاب فيروسي أو بكتيري...

وأردف ملحا في محاولة لإقناعها:

- إن من غير المنطقي أن نقول لمن يعاني من حمى -أو أى مرض آخر- بسبب التهاب فيروسي "لا يجب أن يكون لديك حمى، هيا الآن أوقف هذه الحمى، الآن وبسرعة!!" هذا غير منطقي، أليس كذلك؟!

شعر بعدم إقتناعها رغم تبريراته فتابع:

- وهذا بالضبط ما يحدث للفيلسوف، فمن غير المنطقي أن نقول له توقف عن حمل هذه الأفكار أو السلوك بهذه الطريقة؛ لأنه يقوم بذلك بسبب مرض خارج عن إرادته...

شيء ما بداخله أوقفه عن هذا العبث، مهما قال فالفيلسوف أجرم بحقه، هذا ما توصل إليه.

****

TW. @Rabe3_elkotob

شارع الخديوى

شرنوب، دمنهور، البحيرة

بدون علبة "الشـيكولاتة" الفاخرة، وقف يدق الباب تزامنا مع دقات قلبه التى بدأت فى التســارع، وتســارع نبضــات القلب إيذانا بالبشــريات أو وعيدا بالكوارث...

لحظات طالت... بعدها سمع صوت الانفتاح، ولكن لم يكن باب منزل الدكتور حســن منير بل نافذة المنزل الذى يقبع على يمينه، من داخلها أطل أحدهم وكان شيخا كبيرا فى السن، قال على مضض:

- ماذا تريد يا بني؟

اقترب منه معاذ وأعطى ظهره لمنزل الدكتور حسن وأشار بيديه إليه قائلا:

- عذرا يا جدي، ولكن أليس هذا منزل الدكتور حسن منير؟
- بلى هو... ولكن يبدو أنك غريبٌ عنهم .. لو كنت قريبا منهم لما ســألت هذا السؤال، ولعلمت على الأقل بما حدث لهم.

كل الاحتمالات الســيئة تقافزت فى رأس معاذ، من حديث هذا الشــيخ علم أن هناك كارثة فى انتظاره، تأهب لها ثم استجمع قدرته على النطق وقال:

- وماذا حدث لهم؟!

****

بوجه مُفرَغ من الملامح مضــى معاذ، يصــطدم بالمارة ويتعثر فى أحجار الأرض، كلما تذكر ما قاله له العجوز شــعر برعدة تســري فى أوصــاله، تمنى لو ارتكن قليلا ليُخرِج ما به من صرخات وآهات؛ علَّه يستريح.

TW. @Rabe3_elkotob

بالكاد استطاع عقله إرسال إشارة إلى قدمه لتفعل ذلك، ولكنه لم يصرخ كما انتوى، بل فضل إرجاع ذاكرته لنصف ساعة مضت، لعله يكتشف أن أذنيه قد خانته، وأن كل ما قاله له العجوز لم يكن، وضع كلتا يديه على عينيه وبدأ في تخيل ما حدث حسب رواية العجوز.

التخيل أيضا كان قاسيًا، لم يتحمله للحظات فباعد يديه ليعيد بصره من جديد، ثم اتجه ناحية المنزل الذى وصفه له العجوز ليعلم الكثير كما قال له.

وقف يتحامل على قدميه يدق الباب، إنفتح فكان "بدر"، عرفه معاذ منذ الطلة الأولى، إسراء تحدثت عنه كثيرا، بابتسامة عريضة عانى حتى يصطنعها قال معاذ:

- السلام عليكم، منزل الدكتور حسن منير؟
- هو منزله، من أنت؟
- معاذ...

قاطعه بدر متلهفا:

- أأنت معاذ؟؟ معاذ عزالدين!!

معاذ بدوره صُعق، لو عرفه من أول وهلة لأرجع السبب لشهرته التى اكتسبها من مسابقة الشعر، لكنه لم يعرفه إلا عندما سمع اسمه، ليس هذا فقط، بل إن بدرا قالها وكأنه ينتظره منذ زمن.

- ولكن كيف عرفت اسمى؟

قالها معاذ بشغف فرد بدر وهو يشير بيديه لداخل المنزل:

- دعنا نكمل حديثنا بالداخل، فالأمر سيطول.

TW. @Rabe3_elkotob

دخل وهو يختلس النظرات إلى الصـور المعلقة على الحائط، ما بين صـور لإسـراء وأخرى لوالدها وقف يتمعن النظر، بدر أنهى ذلك حين بدأ الحديث قائلا:

- تعجبتَ كثيرا عندما عرفتُ اسـمك، ألم يخبرك الشـيخ عزالدين بما حدث؟؟

تملقه للحظات ثم قال بفزع:

- يخبرنى! يخبرنى بماذا؟؟

****

14 فبراير 2014 (قبل ثمانية أشهر)

الشـتاء كان مكتملا هذا اليوم، تجسـد فى البردوة والمطر والهدوء، ورغم ذلك يقف هذا الرجل ذو اللحية البيضـاء يدق الباب متحملا سـيل الأمطار وطول الانتظار، ما إن فُتح الباب حتى بدأ هو واصطنع الحوار...

- بُنيَّ، هل هذا هو منزل الدكتور حسن منير؟
- نعم هو بالداخل، أقول له من السائل؟
- صديقٌ قديم.

دخل ينادي والده بعد أن أدخل الزائر وأجلسـه، غاب للحظات ثم عاد وجلس قائلا:

- أبي يصلي، دقائق ويأتي إن شاء الله.

قال يبدد الوقت وهو ينتظره:

- تقبل الله، فى انتظاره، قل لى ما اسمك وماذا تدرس؟

TW. @Rabe3_elkotob

- اسمى بدر، أدرس فى الفرقة الأولى بكلية العلوم،جامعة الأزهر.

غمرهُ بابتسامة عريضة شغلت كلتا شفتيه:

- ما شاء الله، وأين باقي إخوتك.

طأطأ رأسه فى الأرض ثم قال بلهجة مريرة:

- لا يوجد هنا غيري، لقد كان لي أختا واحدة ثم...
- "أين الضيف يا بدر"؟

قالها الدكتور حسن منير مقاطِعًا وهو يقلب عينيه فى ساحة المنزل، حتى اهتدى إلى مكانهما من صوت حديثهما، اقترب منه شيئا فشيئا، دقق ثم تملق ثم اندفع يحتضنه قائلا:

- عزالدين، رفيق السكن الطلابي.

رد عزالدين وهو يربت على ظهره:

- ما زالت ذاكرتك قوية كما كنت يا منير.
- وهل تُنسى أيام المدينة الجامعية وشبابنا الذي قضيناه معا!! حدثني عنك.

ثم نظر إلى ولده بدر وقال:

- هذا عمك عزالدين، سكنَّا سويا طوال سنوات الجامعة، إلتقينا فى أول يوم، كنتُ شاردا مشتتا، هو ساعدني وأسكنني معه فى غرفته رغم اختلاف دراستنا، كنت أدرس الطب وكان هو فى كلية الدعوة الأسلامية.
- ولكني لم أره من قبل يا أبي؟

TW. @Rabe3_elkotob

- اســـأله هو هذا الســـؤال، فكليته انتهت بعد أربع ســـنوات، أما أنا فدراستي استغرقت سبع سنوات، قال إنه سيزورني لكنه لم يفعل، ولم يكن الهاتف النقال قد اختُرع بعد.

لوح عز الدين وقال نافيا:

- معي عذري، توفي والدي وتحملتُ مســـئولية البيت، وحُمِّلتُ بأثقال الدنيا.
- أعانك الله، ولكن ما الذى ذكرك بي؟ وكيف وصلت لي؟
- فى الحقيقة إن القدر يريد جمعنا مرة أخرى يا مُنير، فلقد جئتُ إليك لأصل ما قد قُطع، وأعيد الوصال بيننا من جديد.

قال الدكتور حسن متشككا:

- يا ليت ذلك يكون، ولكن كيف؟
- معاذ بُني، فى عُمر بدر ويدرس فى كلية الإعلام جامعة الأزهر أيضـــا، أخذت مني الحياة كل شيء وأعطته لي، كُنت له أبا وأما، عانيت كثيرا حتى كبُر وأصـــبح رجلا، وقبل بضـــعة أيام جاءني وفى قلبه ما يطلبه الرجال.
- بارك الله لك فيه، ما دام رجلا فنفذ له ما طلب يا عزالدين.
- سأفعل إن شاء الله، ولذلك أنا هنا.
- لا أفهمك.
- سأشرح لك ولكن قل لى أولا، أين إسراء؟
- إسراء!! كيف علمت بها وأنا لم أخبرك عنها؟
- هو علم بها، القدر أوقع بها فى طريقه، وجد مذكراتها وأحبها، وجدتها فى أغراضـــه صـــباح أمس، لقد عددها ضـــمن أحلامه، بطاقتها التى وجدها مكتوبٌ فيها إســـراء حســـن منير من قرية شـــرنوب بمركز

TW. @Rabe3_elkotob

دمنهور، أليســت هى؟؟ طرتُ فرحا عندما علمت بذلك رغم أنه لم يخبرني بعد، وجئتُ أطلبها له لأفاجئه.

- لكن هذا مستحيل.
- لماذا يا صــديقي؟ صــدقني هو يحبها جدا؛ لقد تغير لأجلها، ينتظره مستقبلٌ باهر، وحالتنا المادية ميسورة بفضل الله، ما العائق إذن؟
- صدقني هذا لم يعد ممكنا.
- لا تُخيب ظني بك، ولا تقلق عليها معنا فلن تتعطل عن دراســتها؛ هو سيهتم بها، ثم إنه من المفترض أن تناديها وتستشيرها أولا.
- لم يُجبْ الدكتور حسن منير، فأعلى عز الدين صوته مناديا:
- إســراء، إســراء... تعالي يا بنيتى، تعالي لتســلمي على صــديق عمر والدك.

بلهجة مريرة قال الدكتور حسن:

- صدقني هى لن تُجيبك.
- لا تكن سخيفا، بربك نادها، أنت والدها وستستمع لك.

بمرارة أكثر قال الدكتور حسن وولده بدر يجاوره تنساب منه الدموع:

- لن تستمع لي أو لك، هى لن تستمع لأى مخلوق على هذه الأرض.

عز الدين لم يتبادر لذهنه سوى أمر واحد، رجحه له بدر حين قال وقد أجهش بالبكاء:

- لقد رحلت إسراء يا عمي، لقد ماتت...

****

TW. @Rabe3_elkotob

ليت كل الآباء كعزالدين، ليتهم جميعا يشـعرون بأبنائهم ويلبون حاجتهم، ليتهم يساعدون أبنائهم على التغيير، وليت الذى كان لم يكن...

عز الدين عندما علم بموت إسراء لم يخبر معاذا بالأمر، أراد له أن يكمل رحلة التغيير التي بدأها، وأن يستمتع بحب إسراء أكثر من ذلك، ليته أخبره وقتها وأنهى الأمر.

بدر مبتسما قال لمعاذ:

- لقد كان حب والدك لك يتقافز من عينيه أثناء الحديث عنك، ذكرك بخير طيلة حديثه حتى تمنى والدي لو كانت إسراء على قيد الحياة ليزوجها لك، لقد جاء يطلبها لك دون علمك، وعلى النقيض تماما جاء من يطلبها قبل عدة أيام دون علم والده، أرأيت القدر!!
- من جاء يطلبها قبل عدة أيام؟!
- لا أذكر اسمه لكني أذكر حالته التى آل إليها بعد أن علم بموت إسراء، لقد انهار تماما وأخذ يصرخ مراتٍ ومرات، ثم أخذ فى الضحك فجأة وانطلق بعيدا، مسكين لقد فقد عقله.
- أتذكره جيدا؟ أعني أنك تستطيع وصفه لي؟
- على ما أذكر لقد كان ذو بشرة داكنة، وأنف غليظ وعينين بنيتين واسعتين، ولحية خفيفة تغطي ذقنا طويلة بتسريحة شعر مفروق على جانبي الرأس، وملامحه جدية إلى أبعد حد.

ثم صمت لبرهة وصاح قائلا وكأنه تذكر شيئا:

- وكان سخيا أيضا، فقد أحضر لنا علبة "شيكولاتة" فاخرة من التى تظهر على التلفاز، ولكنه ولفرط صدمته أخذها معه عند الرحيل، على ما أتذكر لقد كان اسمه "يونس".
- لا بل يوسف، اسمه يوسف.

قال معاذ واثقا فصاح بدر:

TW. @Rabe3_elkotob

- أجل تذكرت لقد كان حقا اسمه يوسف، وقد فعل شيئا غريبا جدا.

معاذ متلهفا:

- ماذا فعل؟
- لقد أخرج آلة حادة من سرواله وجرح يده بها، وكتب على بابنا بدمائه "الموت عقابٌ لي وراحة للآخرين" ثم انصرف مسرعا.

****

الآن يتضح الأمر عند معاذ، الفيلسوف حاول قتله، ويوسف حاول سرقة حبيبته، لم يعد هناك مجالا للعفو عنه؛ فهو قد أجرم فى حقه بكلتا الشخصيتين.

حادثة القتل مُدبرة إذاً، عندما ادعى سقوط الهاتف منه قام بفك " فرامل " الحافلة كى يلقى معاذ حتفه، وكان وقتها متمثلا فى شخصية الفيلسوف، تماما كما فعل بأسرة علياء، بعدها ركب القطار وانطلق إلى إسراء يطلب يدها وقد عاد إلى شخصية يوسف...

بعد أن اكتشفت شخصية يوسف موت إسراء تعرضت لصدمة جديدة، قُتلت على إثرها شخصية الفيلسوف ليُشفى من مرض الفصام، ويدرك وقتها أنه قد أجرم بحق أعز أصدقائه الذى دبر لقتله أثناء تمثله فى شخصية الفيلسوف.

عندما علم بأن الحافلة قد قُلبت ومات كل من فيها، لم يتحمل يوسف كل هذا فقرر إنهاء الأمر ومعاقبة نفسه بالانتحار، وهذا هو تبرير الكلمة التى نقشها بدمائه على باب منزل إسراء "الموت عقابٌ لي وراحة للآخرين"

****

TW. @Rabe3_elkotob

- "كنت،فيما مضى أؤمن بالقدر، خيره وشره، حلوه ومره، والآن وبعد كل ما حدث ازداد إيمانى به أكثر، فسبحان من خلق الأقدار كلها وقدّر لنا كل ما كان، فالحمد لله عليه وعلى ما هو كائن وعلى ما سيكون"

صمت لبرهة ثم أردف بعد أن رأى إطراق معاذ للحديث:

- فى الواقع لم أبلغ من الحكمة ما يدفعنى لقول ذلك، فهذه كلمات أبي، أبي كان حكيما جدا، إذا قال أحسن القول، وإذ صمت أجاد الصمت، قال كثيرا إن الصمت فن على الجميع تعلمه، فمن الصمت ما أضعف صاحبه، ومنه ما قوى صاحبه.

معاذ لم يأتِ لتعلم درسا فى الحكمة، بل جاء لمعرفة كل الحقائق، إعتدل فى جلسته وأعار بدرا أذنيه ثم قال بعد أن زفر:

- والآن... أخبرني عنها كل شيء.
- فى البداية...
- فى البداية قل لى كيف ماتت؟
- أتقصد إسراء؟ ومن قال إنها ماتت؟ الموت هو الفقدان ونحن لم نفقدها، منذ أن رحلت بقيت لنا صورها، ابتسامتها، وأنت أيضا كان لك حظا منها... مذكراتها.

بمنديل ورقى أخرجه من جيبه، شرع بدر فى تجفيف تلك الدموع التى داهمت خديه، جفف ثم أردف:

- فى الحقيقة لقد كان موتها مفاجئة متوقعة.

فتح معاذ فاه مندهشا ثم قال بشغف:

- ولكن كيف؟؟

****

TW. @Rabe3_elkotob

26 سبتمبر 2013 (قبل عام من الآن)

الثامنة صباحا

وصـــل القطار أخيرًا إلى محطة "دمنهور"؛ ليقتل لحظات الانتظار المملة التى ســـاورت إســـراء، إتجهت إلى العربة العاشـــرة باحثة عن المقعد الخامس والعشرين قبل أن يزفر القطار زفيره الأخير معلنا البدء فى التحرك.

مجاورة مقعدها للنافذة أعطتها ســـعادة إضـــافية ولحظات صـــفاء أكثركانت تتوقعها، وضـــعت حقيبة اليد بجانبها بينما شـــرعت بخلع حقيبة الكتف لتباشر الجلوس.

خلفها رجلٌ ثلاثيني أحمق، أراد أن يســـتغل الوقت المتبقي على انطلاق القطار، فأخرج سيجارة من جيبه وبدأ فى التدخين.

إسراء شعرت بضيق حاد فى التنفس، أخذت تناشده:

- كفّ عن ذلك أرجوك.

الرجل بحمق أكثر:

- سأفعل عندما تنتهي سيجارتي

إسراء تستجديه:

- أرجوك.

لم يطفئها بينما زاد ضـــيق التنفس على إســـراء وشـــعرت بالاختناق ثم أُغشـــي عليها.

إندفع الجميع نحوها وقاموا بحملها ونقلها إلى أقرب مســـتشـــفى وهى مازالت تنزف دما من فمها، وبعد أقل من دقيقتين تحرك القطار، تحرك والمقعد الخامس والعشرين خاوٍ كما هو.

TW. @Rabe3_elkotob

فى المشفى قيل لهم أنها قد فقدت الحياة إثر توقف فى عضلة القلب، ثم قاموا باستدعاء ذويها ليتسلموا جثتها.

****

كانت تجاوره لكن الموت حال بينهما فكانا من العاشقين، هى ماتت قبل أن يحيها، هو عاش بعد أن أحيها، ربما لو عاشا سويا لما تحابا.

مثلُ ذلك كرجلين يقفان على نافذتين متجاورتين فى المشفى، أحدهما وهو يغني فرحا يطلب شهادة ميلادٍ لمولوده الجديد الذى وُلد قبل لحظات، والآخر يبكي وجعا وهو يطلب شهادة وفاة لوالده الفقيد الذى فُقد قبل لحظات أيضا، وكذلك الحب يفعل الشيئين فى آن واحد، يمنح الحياة للبعض ويسلبها من البعض، ومن الحب ما قتل.

الأحمق قتلها، لقد سمعتُ صديقه يعاتبه لكنني لم ألتفت لهما.

قالها معاذ بغضب ثم أجهش فى البكاء...

بدر قال يوجعه أكثر:

- أمي لم تتحمل موتها فماتت بعدها بشهرٍ واحد، أما أبي فقد ظل متماسكا حتى جاءته وظيفة فى أحد المستشفيات بألمانيا فقبلها دون تردد، قال إن هذا البيت يذكره كثيرا بإسراء وأمي، وأنا أيضا كذلك لم أتحمل الجلوس بمفردي فى هذا البيت المفعم برائحة الحزن؛ فجئت إلى هذا البيت، هو بيت جدي وما تبقى لنا من العائلة.

جفف معاذ دموعه ثم تماسك قائلًا :

- حدثنى عنها يا بدر.

TW. @Rabe3_elkotob

- إسـراء كانت حياة، من رآها غنم، ومن لم يرها ندم، فى الصـباح كانت الشـمس، وفى المسـاء تنوب عن القمر، كانت حياة بكل ما تعنيه كلمة حياة من معان.
- زدني...زدنى يا بدر.
- إسـراء كانت البهجة، إذا ما ابتسـمت فرحت لها الأرض، وإذا ما بكت حزن عليها الكون، كانت تحب ولا تكره، تسـاعد الجميع وتصـفح عن المخطيء بحقها.
- كيف كانت حياتها؟
- إسـراء كانت تقرأ باسـتمرار، إذا سـألتها عن أى شـيء أجابتك، قرأت من الكُتب ما فاق الألف وحفظت القرآن وهى بنت عشر سنين.
- كيف كانت أحلامها؟
- إسـراء كانت تعشـق القدس، قالت إن الصـلاة فى الأقصـى حلمٌ لا يفارقها، لطالما تعطافت مع القضـية الفلسـطنية، وأضـربت عن الطعام تضامنا مع أهل غزة.
- أكانت الحياة أثقل من أن تتحملها إسـراء لسـاعة أخرى .. كى نلتقى وينتهى الأمر
- الحياة ثقيلة جدًا على الأنقياء يا معاذ ، ومن يا تُرى قد بلغ نقاء إسراء ؟
- أين أجدها ؟!
- فى أفضـل مكان لها ،فى قبرها ، مقابرعائلتنا بجوار الطاحونة الغربية،إذهب إليها يا معاذ ، ألم تكن رحلتك تلك من أجل هذه اللحظة !

****

TW. @Rabe3_elkotob

شارع الطاحونة الغربية

مقابر آل منير

ككل زائرى القبور، ما ان دخل حتى ألقى السـلام على الغائبين الحضـور، هم الأحياء ونحن الموتى،هم السابقون فى كل شيء ونحن اللاحقون فى كل شيء .

بحث عن قبرها حتى وجده أخيرا، ها هى إسـراء الذى فعل من أجلها كل شـيء، ترقد أمامه بصمت ويقف أمامها هو بعجز.

لكم تمنى أن يكون لهذا اللقاء ظروفا أخرى، ولكنه القدر الذى فعل به كل ذلك، اكتشـف أخيرا أن الهدف من كل ما حدث هو التغيير وها هو قد تغير، لم يتمالك نفسه فأنكبَّ على قبرها يبكي ويحتضنها للمرة الأولى... أقسم أنها لن تكن الأخيرة

تمت بحمد الله..

2015 / 5 / 15

* * *

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

هو مولودى الأول إذًا .. أهديته كما أخبرتكم آنفا ل " إسراء " ، وإن كان هناك من يستحق الأهداء أيضا وهم كُثر ، أخص منهم :

أبى وأمى وأخوتى (أحمد ، محمد ، عبدالرحمن ، زهراء ، أميره)

أصدقائى وهم كُثر أذكر عنهم : (مختار ، كُرش ، عمر ، خالد ، حسن، محمد ، أحمد ، خليل ، محمد عاطف ، سيد ، فتحى) وشعراء إبداع (صاوى ، عبدالجواد ، معتز) والمصور الموهوب (محمد يونس) والشهيد (حماده الدموكي)

أساتذتى وينوب عنهم مع حفظ الالقاب : (بدر ، نصر ، عيد ، شاهين ، الجداوى ، عبدالباسط ، منيب ، كمال ، أنوار ، سعيد ، شعبان)

TW. @Rabe3_elkotob

TW. @Rabe3_elkotob

بريد الرواية

(هذه الصفحة عبارة عن مساحة تخصص للقرّاء)

أن تطرق باباً بنية الخير.. ولا يفتح لك.. أفضل من أن تقف بعيدًا متكاسلاً..

بدر منصور – مدرس

مع أني لم ألتقِ بها حتى الآن.. إلا أنني أعلم جيدًا أنها على قيد الحياة، أحيانًا تتألم وأحياناً أخري يغمرها الفرح ، لذا كلى يقين بأن الحياة ستجمعنا

محمد هلال – طالب بكلية الإعلام

أصـــعب ما واجهت في حياتي كان فراق من احببت وكأن الرواية تحكيها وفقك الله يا صديقي .

محمود فرج – طالب بكلية الهندسه

يا قـــلـــمـــي لاتكن يوما سكينا يذبح بلادي بل كن سيفا يبتر يد الأعادي وكن حصنا لوطنى و أولادي وكن للحق راية و نبضا لفؤادي .

سميه أبوزينه – صحفيه

TW. @Rabe3_elkotob

ولأنى تعلمت أن أحيا بوجودك فقررت البقاء وحيدة إلى مجهول .

رنا – طالبه بكلية الأداب

اتمنى من اخذ عنى فكره سيئه ان يفهم مقصدى اولا ثم يحكم لان بعض البشر ياخذون بالمظاهر .

علا عاطف – طالبة بالثانوية

نفسي اكوون مصور ناجح وارسم الابتسامه ديما على وجوه الناس من خلال الصورة .

محمد يونس – مصّور فوتوغرافى

أمنية حياتي أن أكون صحفيا متميزا أناصرالحق في كل مواطنه وأنقب وابحث عن الفساد واحاربه بكل ما أوتيت من قوه .

حسين الطحان – طالب بكلية الإعلام

ربما خذلتك يوما ما .. ولكن سيبقى العهد بيني وبين نفسي أن أجعلك ترفع رأسك عاليا ..يا والدي

المواطن اكس

إلى حبيبتى التى تسكن قلبي ، كنتى لى قبل أن أكون وسنجتمع مهما يكون

أحمد الدموكي

TW. @Rabe3_elkotob

للتواصل مع الكاتب:

www.facebook.com/mahmoud.eldmoky.11

صفحة الرواية على الجود ريدز :

www.goodreads.com/book/show/26282125

TW. @Rabe3_elkotob

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Email: layanpub@gmail.coml-layanpub@yahoo.com
ت:01282288056
6شارع التحرير بالدقي، بجوار محطة مترو البحوث، الدور 19، شقة رقم2002.

TW. @Rabe3_elkotob